

١ تموز سنة ١٩٥١ ٢٧ رمضان سنة ١٣٧٠

ذيل ثانٍ

للألفاظ السريانية في المعاجم العربية

اننا بعد تتبّع وطلب في عدة مصنفات أحرزناها حديثاً ، أوردنا هذا الذيل الثاني مشتملاً على اضافات وتصويبات وتعاليق ، وسبع وسبعين لفظة جديدة . فالمعوّل في أصل الألفاظ المبحوث فيها ، على الفهرس الخاص الذي علقناه على رسالتنا هذه التي امتدّ بنا نفَس البحث فيها تعليقاً وتحقيقاً حتى أمست كتاباً .

حرف الألف

اضافة الى ابل : حِداد : قال ميخائيل هونتورا في كتابه « بيان النسبة بين اللغات الهندية الأوروبية واللغات السامية المطبوع عام ١٩٣٣ في صفحة ٢٠٩ : « وهي بالآثورية Ublu وبالعبرية Ebel » فهي بهذا المعنى مما توافقت فيه هاتان اللغتان والآرامية والعربية » .

آبنوس : قال المعلم بطرس البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الآبَنوس والآبْنُوس

شجر يعظم كالجوز ، له ثمر كالعنب وأوراقه كأوراق الصنوبر ، وخشبه شديد الصلابة أسود والهندي منه يوجد فيه بياض » وقال الشرتوني في معجمه ص ٣ « الآبَنُوس وفي لغة الابْنُس شجر مثمر يعظم كالجوز وأوراقه كاوراق الصنوبر ، معرّب واسمه العربي سَأْسم » وقال الأمير الشهابي ص ٢٣٢ « آبَنُوس Ebénier شجر من فصيلة الآبَنُوسيّات له خشب صلب أسود مشهور » وقال العلامة الذائع صيته مار غريغوريوس ابن العبري في « منتخب الغافقي في الادوية المفردة المطبوع في مصر سنة ١٩٣٢ ص ١٦ و ١٧ « ابنوس أقوى ما يكون الحبشي وهو أسود وليس فيه طبقات يشبه في ملامسته قرناً محكوكاً وكان كسره كثيفاً ... وفي الهند صنف منه فيه عروق لونها أبيض ياقوتي » اﻫ وعلق عليه ناشرا الكتاب الدكتوران ماكس مايرهوف وجورجي صبحي في الترجمة الانكليزية بقولها ص ٧٤ « ان الكلمة تظن من اللغة المصرية القديمة Hbn وهي اسم الشجرة والخشب » عن : المصري القديم تأليف Loret ، وهي باليونانية Ébénos وباللاتينية Hébénus وباللغات الشرقية آبنوس الخ » .

وعلّق المطران يعقوب أرجين منّا في المروج النزهية السرياني ج ٢ ص ٣٦٩ على هذه اللفظة بقوله : « ابنوس ، نوع من خشب مُصْمَت صلد كالحجر ولهذا سمي بالسريانية (ابنوسو : Abnouço) تصغير (ابنو Abno) وتفسير الكلمة ، حَجَر ، ومنا أخذها اليونان والعرب . اﻫ

وقال شارل جانت في كتابه « أدب الآثوريين والبابليين » ص ٣٥٥ « Abné لفظة اكّدية معناها حجارة ومفردها Abnu . وأورد سبع ألفاظ مركبة منها Aban-Šamé ومعناها حجر السماء . واللفظة كما ورد آنفاً تعني بالسريانية حجراً ، قطعة لَبَن مشوي ، كومة حجارة . (دليل الراغبين ص ٣) وهي أيضاً بالعبرية Ében (معجم برون ص ٣ ومعجم شامبريس ص ٢٦٠)

حيث ذهب المؤلف ان اللفظة اليونانية أُخذت من العبرية Hobnim جمع لفظة Obni , Hobni ·

فاللفظة اذاً سريانية من أصل اكّدي ، ومن السريانية اقتبستها سائر اللغات ·

أُترجّ : أجمعَ دوفال ص ٢١٣ والمطران ادى شير في « الألفاظ الفارسية المعرّبة » ص ٣٤ والدكتوران مايرهوف وصبحي ص ٧٩ على نجار هذا اللفظة الفارسي · وكتب الينا الأمير الشهابي ان الأُترُجّ والتُرُنْج من أصل سنسكريتي هو ماتُلُنْغا ومنه انتقل الى الفارسية فالعربية · فنمالئ آراءهم ·

اتّون : قال غويدي في كتابه « بلاد العرب قبل الاسلام » ص ٥٧ ان تنّور واتّون وفرن الفاظ أعجمية ·

اضافة الى : اجّار : ومنه حديث الهجرة فتلقى الناسُ الرسولَ في السوق وعلى الأجاجير والأناجير يعني السطوح « النهاية لابن الأثير ١ : ١٩ » ·

وفي كتاب آداب الآثوريين لشارل جان ص ٢٦٧ و ٣٥٧ « Igaru : نِطاق ، سور ، استعملت في آثر دون أواسط المئة السادسة ق · م » ·

اضافة الى اجّانة : واللفظة بالآثورية Agan وبالعبرية والكلدانية Agan Agam · توافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية (كتاب بيان النسبة بين اللغات الهندية الاوروبية واللغات السامية لميخائيل هونتّورا ص ١٢٣) ·

آجرّ : قال الفيومي في المصباح المنير ص ١٢ « الآجر ، اللِبن اذا طُبِخ ، بمدّ الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف ، الواحدة آجرّة وهو معرّب ·

وقال المطران ادى في الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧ نقلاً عن الأب هنري لامنس البلجيكي في كتابه الفروق ص ٣٣٠ « الآجور والآجر والأجُرّ والآجرون تعريب اكور ، وهو تراب يُحكم عجنه وتقريصه ثم يُحرق ليبنى » وهذا عن محيط المحيط للمعلم البستاني ص ١٠ الذي ذكر فيه عشر لغات وقال

انه معرّب أكُور بالفارسية . وقال لامنس انه جاء في الشعر الفصيح وأورد فيه أبياتاً لبعضهم . وذكر السيد ادى ان فرنكل في ص ٥ من كتابه الألفاظ العربية الآرامية الأصل قال ان أصل اللفظة آرامي وهو موجود في اللغة الآثورية القديمة اه وهي بالآثورية Agurru . وارتأى دوفال أيضاً اصلها السرياني ص ١١٦ . ورواها الدليل Ogouro بالمفرد ص ٥ وابن بهلول ص ٢٥ وبرون ص ٣ بالجمع Ogouré وزاد برون انها بالآثورية Agurru وقال الدكتور اسرائيل ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ص ٤٠ « يظهر ان كلمة آجرّ ليست في الأصل عربية بل هي بابلية نقلها العرب الى لغتهم واستعملوها في الطين المحرق ، وأوردها في القاموس البابلي الآثوري ص٤٩ Agurru . والأصح على ما يستنتج مما درسناه ان اللفظة آثورية الأصل ومنها اقتبستها الآرامية فالفارسية فالعربية .

ادوناي : معناها الرب الاله القادر على كل شيء ، توافقت فيها اللغات الفينيقية Adan , Adon والآثورية Adunu والعبرية Adonaï والآرامية Odonaï , Adonaï : السيد ، الربّ . (هونتّورا ص ١٦٣ ، برون ص ٤ الدليل ص ٦) .

اضافة الى إران : قال امرؤ القيس : وعَنْسٍ كألواح الإرانِ نسأتُها .
أي ضربتها بالمنسأة وهي العصا . (شعراء النصرانية ٣٩) .
وجاء مثله في شعر طرَفة (ص ٣٠٠)

ارجوان : قال البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الأُرجوان معرب ارغوان بالفارسية ، شجر له ورد يتنقّل به الفرس على الشراب ، والأحمر وثياب حمر وصبغ احمر والحمرة » وقال شارل ص ٢٤٤ ــ ٣٥٦ « Argaman-nu بالاكّدية تعني صباغة الثوب من جلد الحملان بالأحمر » وقال هونتّورا ص ٣٩٢ « هي لفظة

سريانية • ووردت أيضاً باللغة السنسكريتية Ergewan , Argawan : شجرة زهرها احمر مصدرها من الفعل الماضي Argu , Argan ومعنـاه : تلألأ » وهي بالسريانية Argwono •

اضافة الى ارز : قال أيضاً مايرهوف وصبحي (جامع المفردات ص ٨٦) ان لفظ الأرز (الرزّ) لا تعرفه اليونانية ، وهو بالفارسية : برنج •

اضافة الى آس : وقالا أيضاً ص ٧٥ « آس هي باليونانيـة Myrsine وباللاتينية Myrtus وبالفارسيه مُورد Mûrd » انظر أيضاً القاموس الفرنسي الفارسي تأليف كازيميرسكي ص ٣٢٨ ووردت فيه Mourd وبالفرنسية Myrte وورد الآس في شعر أعشى قيس قال : وآسٌ وخيريٌّ ووردٌ وسَوسَنُ (ص ٣٧٩) •

اضافة الى اسى ، وآسٍ : هي أيضاً بالآثورية Asa : اَسى و Ass آسٍ ، طبيب (هونثورا ص ٢١٢ و ٢٣٨) •

اضافة الى أسَل : أوردناها ص ١٧ Ouçlo سهواً وصوابها : آوْسْلُو Awçlo •

اضافة الى اكّار : قال غويدي في كتابه « بلاد العرب قبل الاسلام » المطبوع عام ١٩٢١ ص ٥٠ « كان الأعراب الرحّل يحتقرون الزراعة وقال أحد الشعراء : بالرمح يُحاز المجد لا بحراثة الحقول • وفي الواقع ان الفاظ الزراعة هي آرامية الأصل وهي بحسب اقرار الأعراب نفسهم :

اكّار ، اريّس ، نير ، اندر ، ناطور ، فدّان •

قلنا اننا نستثني لفظة اريّس وجمعها أرارسة اذ ليست في لغتنا •

أمة : الأمَة المملوكه (الشرتوني ٢٠) لفظة توافقت فيهـا الآثورية Amatu أو أمتُو والسريانيـة Amtho , Amo آمو ، أمثُو ، والعبرية

Amah أمَه ، والعربية ولغات جنوب الجزيرة والحبشة : أمَة (الدليل ٢٤ وبرون ٢٠ وهونتّورا ٢٧١ وولفنسون ٢٨٤) فهي اذاً سامية النجار .

اضافة الى إمّر : تشترك في هذه اللفظة الفينيقيـة Hamar والآثورية Himmeru (هونورا ص ٢٥٧) .

اضافة الى أنبوب : هو بالآثورية Amboub ومعناه : قصبـة ، زمّارة وبالسريانية Aboubo هونورا ص ٣٧٣ .

اضافة الى اندر : الأندر البيدر بلغة أهل الشام وكدس القمح ج أنادر (محيط المحيط ص ٢٠٥٥ـ٢٠٥٦) وفي النهاية لابن الأثير ١ : ٤٦ « وفي حديث عمر كان لأيوب اندرانِ : الأندر البيدر وهو الموضع الذي يُداس فيه الطعام بلغة أهل الشام » .

وفي كتاب صورة الأرض تأليف ابي القاسم ابن حوقل النصيبي ، القسم الثاني طبعة ليدن سنة ١٩٣٩ ص ٣٠٤ « ولم يَرِم (قباد) حتى جعل فارس مقاطعات وخراجات تُقبَض اذا حُيِّن ما في الأنادر ، وتُصرَّف الأكرة والمزارعون في البيادر » .

اضافة الى آنُك : هو أيضاً بالآثورية Hanak وكذلك بالعبرية (هونتّورا ص ٣٠٢) .

اضافة الى إيَّل : توافقت فيها اللغات الفينيقية Aila والآثورية Ailu , Ilu والآرامية Aïlo والعبرية Ayial والعربية : إيَّل والحبشية Aialu . ووردت أيضاً بهذا اللفظ في اليونانية واللاتينية والغالية والجرمانية (هونورا ١٤٩) .

حرف الباء

باب : لفظة توافقت فيها الآثورية Bâbu : باب (المعجم الآثوري للأب شيل ص ٥٢) والسريانية Bobo , Bob : باب صغير (الدليل ص ٤٩) والعربية ، وجعلها هونورا ، سامية ص ٢٣٠ .

اضافة الى بابوس : وجاء في شعر ابن احمر لغير الانسان (النهاية لابن الأثير ١ : ٥٦) .

اضافة الى الباريّ : وقال الأصمعي ، الباريّ والبوريّ عربي وأنشد للعجّاج :

كالخُصّ اذ جلّله الباريُّ (محيط المحيط ص ١٤١)

اضافة الى باشق : وقال السيوطي في الكنز المدفون ص ٨٠ في الباشق لغتان باشق وباسق .

اضافة الى باطية : توافقت فيها الآثورية Batu (هونتّورا ص ٣٨٧) والسريانية ، ومن هذه اقتبستها العربية .

اضافة الى باعوث :

ص ٢٤ في الهامش : وذكر المعلم بطرس البستاني ، صلاتي ثاني عيد الفصح وطلب المطر (محيط المحيط ص ١٠٥) .

بتول : البتول ، الشابّ العزب والشابة العزباء البكر ، توافقت فيها الآثورية Batulu : بتول ، شابّ (النحو الآثوري للأب ف . شيل وفوسّي ص ٥٢) وهونتّورا ص ١٧٠ Batulu : فتى ، شابّ و Batultu : فتاة) والسريانية Bthoulo , Bthoullo بتول ، عزب ، بتولة ، عذراء ، والفعل Bthal و Ethbatal : تبتّل ، كان بتولاً . والعبرية : Betulah : فتاة ، بكر (هونتورا ص ١٧٠) والعربية .

اضافة الى بحران : قال الطبيب عبيد الله بن بختيشوع المتوفى سنة ١٠٦١ م في كتابه الروضة الطبية الذي نشره بمصر القس بولس سباط سنة ١٩٢٧ ص ٦٠ « البحران هو بحسب هذا الاسم في اللغة السريانية ، القضاء بين الخصمين لأنهم شبهوا الطبيعة والمرض بخصمين قد تقدما الى الحاكم ، وكل منهما خائف من بتّ الحكم عليه . فعلى هذا الوجه وضعوا اسم البحران . فقد بان ان معنى

البحران من هذا القول ، هو تغير يعرض للأمراض بغتةً ، وهذا التغيّر لازم لسائر الأمراض الا انه في الأمراض الحادّة أظهر وأبين » وجمع بحران بحارين ، قال في الصفحة نفسها ، « وأصناف البحارين سبعة » .

بَرْق : صاعقة توافقت فيها الآثورية Birku والسريانية والعبرية Barko (هونتّورا ص ٣٠٢) .

بَرْك : سامية Baraka (هونتّورا ص ١٢٣) .

اضافة الى بُرنس : قال المهلهل اخو كُليب :

واذا تشاء رأيتَ وجهاً واضحاً وذراعَ باكيةٍ عليها بُرْنُس

(شعراء النصرانية ١٧٩) .

بسأ : توافقت فيها الآثورية Bastu والآرامية Bso والعبرية Boza والعربية (هونورا ص ١٦٣) .

بَصَل : البصل البقل المعروف هو بالسريانية : بِصلو بَصلو : Baslo , Beslo (الدليل ٧٦) وبالعبرية والعربية بصل (برون ٥٢ وهونورا ٣٠٦) وذكر هذا انه بالآثورية Basalu فاللفظة من توافق هذه اللغات الأربع .

اضافة الى بستوقة : وفي محيط المحيط ص ٩٢ « قلّة من الفخّار فارسي معرب » .

تحقيق في لفظة بعير : تورّط بعضهم في رأي قائل أخذاً عن الدميري في كتابه « حياة الحيوان » ج ١ ص ١٣٣ عن ابن السكيت وخلاصته « ان البعير سمي بعيراً لأنه يبعَر . يقال بَعَر البعير يبعَر بفتح العين فيهما بعْراً باسكان العين كذبح يذبح ذبحاً ، وهو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الابل بمنزلة الانسان من الناس ، فالجمل بمنزلة الرجل وانما يقال له بعير اذا اجذع » . وهو تعليل مغلوط فيه لا يُلتفَت اليه ، وذلك ان ذوات الخُفّ والظِّلف كلها تبعر ، قال الفيّومي في المصباح المنير ص ٨٧ « البَعَر معروف وهو من

كل ذي ظِلف وخُفّ ، وبَعَر ذلك الحيوان بعراً من باب نفع ، ألقى بعرَه » ومثله في أقرب الموارد ١ ـ ٥٠ وقطر المحيط ١ : ١١٩ وعلى رأي الدميري ومن قال بقوله : يصح أن يسمى بعيراً كل من الشاة والعنز والأرنب والغزال والايّل وغيرها ! ومن قبيل تعليل الدميري الفارغ قوله ج ١ ص ١٩ انفظ الاتان من الإتيان ، وص ١٨٠ « وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها » وقوله في الخنزير ١ : ٣٠٣ « وحكى ابن سيده عن بعضهم انه مشتق من خرز العين لأنه كذلك ينظر .

وأما ابن جنّي الذي استأثر لنفسه اكتناه سر اللغة ولطائفها في ما زعم ، فبعد أن قال ص ١٢٤ « الناقة فعَلة من قولهم تنوقتُ في الشيء اذا أحكمته وتخيّرته ، أردف ص ٥١٤ « وعلى هذا قالوا (جمل) لأن هذا (فَعَل) من الجَمال ، ونقله عنه المعلم بطرس البستاني وعلّله بان العرب يحسبون الجِمال جَمالاً وزينةً (محيط المحيط ص ٢٨٩) وفي ص ٥١٥ ولذلك قالوا البقر من بقرتُ بطنه اذا شققته ، فهو الى السعة والفسحة وضد الضّيق والضغطة » ! مع ان هذه الأسماء تشترك فيها لغات شتى وأخصها السريانية .

فان جمَل بالسريانية والكلدانية Gamlo وبالآثورية Gammalu وبالعبرية Gimmel وبالحبشية Gamal . والثور بالفنيقية Tor وبالسريانية والكلدانية Tauro وبالعبرية Shôr شور وبالحبشية والمغولية Toro وكذلك باللاتينية Tauro . والبقر سامية وبالعبرية Bacar , Vacar وبالسريانية Bacro (بقرو) . والخنزير هي بالآثورية Habacar و Canacara وبالسريانية Hziro (حزيرو) . وإبل هي بالآثورية Ibilu . وورد في السريانية Aboulo : قافلة من إبل [1] ،

(١) دليل الراغبين .

وفي محيط المحيط ، «الأَبُول والإِبَّول : القطعة من الابل» ، (نسبة اللغات لميخائيل هونورا ص ١١٨ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٦ و ١٩٣) ·

وقس على هذا قوله في البازي ١ : ١٨٠ «لفظه مشتق من البزوان وهو الوثب · وفي الدرّاج ج ١ — ٣٣٥ «الدرّاج القنفذ صفة غالبة عليه لأنه يدرج ليله كله ، قاله ابن سيده» وفي الدجاجة ١ — ٣٢٨ وسميت الدجاجة دجاجة لاقبالها وادبارها ، يقال دجّ القوم يدجّون دجًّا ودجيجاً اذا مشوا مشياً رويداً في تقارب خطو ، وقيل هو ان يُقبلوا ويُدبروا» وبمثله تقدّمه ابو علي القالي في كتابه البارع قال «داجٍ وقال غيره الداج الذين يُقبلون ويُدبرون وهو الدجيج وانما سميت الدجاجة لأنها تُقبل وتدبر» !

ولا نعلم أية ناقة أو تنوّق وجد ابن جنى في شكل الناقة أو في سيرها وأي جَمال سحره من أوضاع جسم الجمل حتى انه استجاز هذا الاشتقاق الغريب وان كان العرب يتجملون بكثرة جمالهم ، ولا نظن عالمًا عربيًا أو مستعرباً ذكيًا يقتنع بهذه التخاريج الملفقة ·

وقال الفيروزابادي ١ — ٣٧٤ و ٣٧٥ البَعْر باسكان العين ويُحرّك ، رجيع الخُف والظِّلف ، والفعل كمنع ، والبعير وقد تكسر الباء الجمل البازل او الجذع وقد يكون للأنثى ، والحمار وكل مايحمل ، وهاتان عن ابن خالويه» · وفي الهامش «قوله والحمار الخ قال ابن بري ، وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسئول المتنبي ، قال ابن خالويه والبعير أيضاً الحمار وهو حرف نادر القيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة ، وكانت فيه خنزوانة وعنجهية فاضطرب · فقلت المراد بالبعير في قول القرآن : ولمن جاء به حمل بعير (الحمار) ، وذلك ان يعقوب واخوة يوسف كانوا بارض كنعان وليس هناك إِبل وانما كانوا يمتارون

على الحمير، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره» اهـ ثم ان في قول الدميري «انما يقال له بعير اذا اجذع» دليلاً على ان هذا الاسم لا يطلق عليه من باب التعميم لكنه مخصص به اذا اجذع اي بلغ سنته الخامسة، كما قيل فيه الجمل البازل وهو البالغ سنته التاسعة .

وأما لفظة (بعيرو) B'ero السريانية فدونك مدلها في المعاجم السريانية : ابن بهلول، عمود ٤١٤ : البهائم، الأنعام، وفي نسخة ثانية، الحيوانات التي تعتلف العشب . ومنها الأكل ومنها للعمل في ما يحتاج اليه، وعدّها دوفال من الألفاظ السريانية والعبرية ٣ : ٨٩ . وفي القاموس العتيق : الأنعام والبهائم والبعير وما اعتلف الحشيش . وفي برون ص ٢ : بهائم، أنعام . وفي اللباب ١ : ١٣٢ البهيمة والدابّة . وفي دليل الراغبين ص ٧٥ دابّة، بهيمة، ماشية، جمل، بعير .

وجاء في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة Warmi Kesto la'bourhoun وترجمتها بحسب النقل الموصلي «وصبّ علفاً لحميرهم» تكوين ٤٣ : ٢٤ .

وقال الدميري نفسه ج ٢ ص ٣٦١ «النعَم عند اللغويين، الإبل والشاء يذكّر ويؤنّث، وقال ابن الاعرابي : النعم الابل خاصة والأنعام للابل والبقر والغنم . وحكى القشيري في تفسير الأنعام، انها الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير» .

وجاء في محيط المحيط ص ٢١٠٠ «النعَم وتسكّن عينه، الابل والشاء او خاص بالابل ج انعام واناعيم» وفي المصباح : «النعَم المال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الابل . قال ابو عبيد : النعَم الجمال فقط ويؤنث ويذكّر ج نُعمان مثل حمَل وحملان، وأنعام أيضاً . وقيل النعَم الابل خاصة، والأنعام ذوات الخُفّ والظّلف وهي الابل والبقر

والغنم . وقيل يُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فاذا انفردت الإبل فهي نَعَم ، واذا انفردت الغنم والبقر لم تُسمَّ نَعَماً » اه .

ومن هذا نستنتج ان تفسير ابن بهلول وصاحب المعجم العتيق لهذه اللفظة ، يشمل أيضاً معنى البعير الذي صرح به الأخير فضلاً عن صاحب الدليل وهو الأصح .

وأثبت ما يقال في لفظة البعير انها مما توافقت فيه اللغات السامية .

بلّور : البَلّور والبِلّوْر ، جوهر أو صنف من الزجاج معرّب فِيِرِاتُس باليونانية (محيط المحيط ص ١٣١) قال هونّورا ص ٣٦٦ « بلّور Buralu بالآثورية و Bélouro بالسريانية و Bérullo باليونانية . وهي في اللاتينية والفرنسية Béryl .

بندق : قال غويدي ص ٥٠ « وكان يُحمل الى العرب من البلاد الأجنبية عنها شيء كثير من الأغراس والثمار كالبندق ، فان أصله من بلاد البنطس ونسبةً الى بلاده الأصلية سُمي Nux Pontica جوز البنطس وسمي بالآرامية Pendco وبالعربية أخذاً منها : بندق .

بنى : أنشأ بناءً توافقت فيها الآثورية Banu (غراماطيق شيل وفوسي ص ٣٦) والآرامية Bno والعربية .

تصحيح للفظة بُوص : جاء في القاموس العتيق : بوصو Bouço : الكتّان الرقيق مثل القَصَب والدَّبيقي ويقال أيضاً الدِمَقْس اذا خالطه الابريسم . وقال ابن بهلول ع ٣٧٢ « بوصو ، حرير الكتّان مثل القصب والدَّبيقي ، آخر ، الكتان الرقيق ، الدِّمقس المفتّل ، حرير مغزول . وقال ابن سروشويه : انه يستخرج من لبّ قصب الكتان ويسمونه (قَزّ) وقيل هو ما ينسجه دود الحرير وهو أبيض الخ » وعدّها دوفال في جملة الألفاظ السريانية ٣ : ٨٦ . وفي اللباب ١ : ٩٤ « الدِمقس أي الحرير الأبيض والديباج او الكتّان » .

وفي كنز اللسان السرياني ١ : ٦٥ « الكتّان الرقيق الأملس الأبيض » .

وفي دليل الراغبين ٦٥ « كتّان ، حرير أبيض » .

وورد في التوراة البسيطة (تكوين ٤١ : ٤٢) Lbousho , Dbouço , Walebshé وترجموها بارجوان الا البروتستانتية فقالت « والبسه ثياب بُوص » .

وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ « وارجوان وقرمز وبوص » انظر أيضاً ٢٧ : ١٦ و ١٨ . و ٢٨ : ٥ و ٦ و ٨ و ١٥ الخ في النقلين الموصلي والبروتستانتي . وفي سفر استير ١ : ٦ « بستائر ... معلقة بحبال بوص وارجوان في حلقات من فضة » في النقلين القديم والموصلي ، وبهذا اللفظ أوردها في انجيل لوقا ١٦ : ١٩ « ويلبس البرفير والبوص » وفي سفر الرؤيا ١٨ : ١٢ « تجارة الذهب ... والبوص والارجوان والحرير والقرمز » وعدد ١٦ « المدينة العظيمة المتحفة بُوصاً وارجواناً وقرمزاً » .

ووردت اللفظة أيضاً في نقش الملك كلو بن حيّا الراجع الى المئة الحادية عشرة ق . م : قال « في أيامي كُسي بَصّ » تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٦٥ و ٢٧٤ في الكلام على اللغة الكنعانية (الفينيقية) .

وجعلها شامبريس في معجمه يونانية الأصل Byssos ومعناها : كتان رفيع جداً ص ٥٠٩ . وكذلك معجم نبيل ص ٢١٣ وقالا فيها في اللاتينية Byssus ولكن العرب المسيحيين أوردوها بلفظها السرياني ، بُوص (قُطر المحيط ص ١٥٤ ومحيط المحيط ١٤٢ وأقرب الموارد ٦٧) ولم يقولوا بيسّوس ولا بِيس أو بِيص .

أما فرنكل فقال في كتابه « الألفاظ العربية الآرامية الأصل » ص ٤٠ « ان لفظة الخزّ اما فارسية واما آرامية مأخوذة من (بوصو Bouço) وقال ايضاً المطران ادّى في كتابه (الألفاظ الفارسية المعرّبة) ص ١٣٤ « والبوص

آرامي الأصل مُشتقّ من (بُوص Boş) وهو فعل مات في اللغة الكتابية لكنه مستعمل في اللغة الدارجة ومعناه ، تلألأ واضاء ، سطع ، ويرادفه العربي باضَ بَوضاً ، حسن وجهه بعد كَلَف (الشرتوني ٦٧) ومن (بوصو) مأخوذ العربي (بُوص) والعبراني بوص Butz واليوناني Byssos واللاتيني Byssus » .

وقال ميخائيل هونتّورا ص ٢٧٤ « لفظة البوص هي بالفينيقية Buts وبالعبرية Buts وبالسريانية Butso وبالآثورية Buk وباليونانية Bussos وباللاتينيـة Byssus » .

فنرجح انها فينيقية الأصل ووافقتها فيها الآثورية والآرامية والعبرية ، ومنها اقتبستها اليونانية واللاتينية ، ومن الآرامية أخذها العرب المسيحيون .

بَيْت : توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية ، وقال ولفنسون ص ٨ « انها من اللغة السامية الأصلية Bi - i - tu , Bytu » .

بيِعْة : اجمع عشرة علماء كتب تسعة منهم بالسريانية وواحد بالعربية وهم : ثاودورس بن كوني أسقف كسكر (حوالى سنة ٧٠٠ م) في كتابه (اسكوليون) مج ٢ ص ٤ و ٥ وُطبع في باريس ، ويشوعداد المروزي اسقف الحديثة في آثور (نحو سنة ٨٥٠) في كتابه ، تفسير اسفار العهد الجديد مج ١ ص ١١١ ـ ١١٢ وهو مطبوع ، وحنا نيشوع بن سروشوَيه اسقف الحيرة (نحو سنة ٩٠٠) في معجم ابن بهلول ، وموسى ابن كيفا اسقف بارمّان . وبيث كيونا (٩٠٣ +) في كتابه الخطب مج ١ ص ٩٠١ وهو مخطوط في خزانتنا ، والحسن بن بهلول (سنة ٩٦٣) في معجمه المشهور عمود ١٤٠٨ — ١٤٠٩ ، والطبيب ابو نصر ابن جرير التكريتي السرياني (نحو سنة ١٠٧٩) في كتابه العربي الموسوم بالمرشد في الباب التاسع والعشرين في بناء البيعة ، وهو مخطوط في خزانتنا ، ويعقوب بن صليبي مطران آمد السرياني (١١٧١ +) في كتابه

تفسير الانجيل ، النسخة المطبوعة في باريس مج ١ ص ٣٨١ — ٣٨٢ والنسخة المخطوطة بقلم المؤلف على ما نرى وهي مصونة في خزانتنا في تفسير الآية ١١ من الفصل ١٦ من انجيل متى ، ويعقوب البرطلي مطران دير مار متّى وأذربيجان السرياني (١٢٤١ +) في كتابه الموسوم بالكنوز ، وهو مخطوط في خزانتنا الفصل ٣٩ من المقالة الثانية ، والعلاّمة مار غريغوريوس بن العبري مفريان المشرق (١٢٨٦ +) في كتابه مخزن الأسرار في تفسير الآية المذكورة آنفاً ، أجمع هؤلاء الفضلاء ان لفظة ـ البيعة ـ كما وردت في اللغة السريانيه (عيتو ʿIto) مشتقة من لفظة (عيدو ʿIdo) والفرق بين اللفظتين ان عيتو مؤنث وعيدو مذكر ومعناه ، محفِل حافل بالأفراح ، فاذاً ان البيعة تعني جماعة المؤمنين الذين تجمعهم وحدة الدين والطريقة .

وقال غيرهم ان لفظة البيعة عبرانية النجار تفسيرها بالسريانية (كنوشتو Knoushto) ومعناها هلموا فاجتمعوا (جماعة) ويقال لها باليونانية اقليسيا ، وتترجم بالسريانية ، دعوة ، ارادوا بها انها دُعيت من سائر الشعوب والأمم فاجتمعت . هذه صفوة ما أورده ثمانية علماء بالسريانية ، ونضيف اليها ما قاله عبديشوع الصوباوي مطران نصيبين (١٣١٨ م) في كتابه « الجوهرة » المطبوع ثانيةً في الموصل سنة ١٩٢٤ (في الباب الثالث والفصل الثامن ص ٣١) وترجمته « ان اسم البيعة ، يدلّ على محفِل وعيد » او يعني اجتماعاً حافلاً .

ودونك النص العربي لما أورده في هذا الباب ابو نصر التكريتي في كتابه ، المرشد ، قال :

« اسم البيعة عبريّ تفسيره الجماعة ، وليس المراد بهذا الاسم الحيطان ولا الجدران ، لكن المجمع الذي يجتمع فيه المؤمنون بالمسيح للصلاة والعماد والقربان وباقي العبادات . وفي اليوناني سمي اقليسيا ومعناه الدعوة اي ان الشعوب

المجتمعين فيها دُعوا اليها للعبادة . وفي السرياني عيتو ، اي جماعة ، وقد تسمى أيضاً في حقيقة لغتهم (كنوشتو) اي جماعة ، و (كنوشيو) اي الاجتماع . كل هذه اسماء يدلّ بها على الاجتماع الذي الغرض فيه العبادة على ما استقرّ في السنّة المسيحية . والرسول فولوس يقول ، أعطوا السلام للبيعة اي يعني الجماعة التي آمنت بالمسيح ، والآباء في الأمانة السليحية يقولون : ونقرّ في بيعة واحدة قدسية جاثليقية ورسولية ، اي جماعة المؤمنين جمعاً ورث عن الرسل اي السليحين وورثت الايمان عنهم ، وخاصة شمعون الصفا الذي قال له سيدنا انت الصفا وعليك أبني بيعتي ، اي انك الأصل والاساس الذي بك تقتدي جماعتي المؤمنة » اه .

ومما يؤيد اشتقاق لفظة البيعة من (عيد) بحسب اجماع الأئمة الثانيـة ، ايرادها في معظم المعجمات السريانية في حرف العين ، من ذلك معجم يشوع ابن علي ص ٣٠٢ وأردفها بلفظة (عيد) ومعجم ابن بهلول ع ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩ والقاموس العتيق ، ومعجم المطران توما اودو مج ٢ ص ٢٠٧ ودليل الراغبين ص ٥٣٢ بعد (عيد) وصرّح ان (عيتو) بألِفَين : جماعة ، جمهور ، محفل ، بيعة ، كنيسة . ماعدا معجم اللباب الذي ذكرها في حرف الواو ١ : ٣٢٦ وقال ان التاء فيها عوض من الواو وقد يعتاض عنها بتضعيف الدال فيقال Édo‛ واستشهد على ذلك ببيت لمار افرام . أما معجم برون فأثبتها في حرف الواو من فعل Wa‛ed , ïed : يـِعِيد وَاعِيد ص ١١٧ و ١١٨ وفي حرف العين أيضاً ص ٤٢٩ . ولفظة العيد نفسها تعني بالسريانية أيضاً : حفلة ، جمع ، ملأ (دليل الراغبين ص ٥٣٢) .

هذا ما أجمع عليه القدماء . أما المحدثون فان الأب لويس شيخو المتوفى سنة ١٩٢٧ ذهب الى ان لفظة البيعة سريانية (بِيعْتو Bi‛ïto) ومعناها البيضة

والقبة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج ١ ص ٢٠١ — ٢٠٢) .

وذهب البطريرك افريم رحماني المتوفى عام ١٩٢٩ انها مشتقة من لفظة (وَاعِيْدْ Waᶜed) ومعناه جمع ولأم (الليتورجيات الشرقية والغربية ص ٥٦) .

وارتأى المطران يوحنا دولباني السرياني من المعاصرين لنا انها مصدر من فعل (وْعَاد Wᶜad) المبنيات على صيغة (صِفْثو Seftho) من فعل (إيصيف Ysef) ومعناه اهتمّ و (شِنْثو Shentho) من فعل ايشين Ishen ومعناه وَسَنَ، نام ، رقد) .

أما نحن ففضلنا آراء أئمة اللغة القدماء وهي عندنا أولى من المعاصرين بتفهّم معاني الأسماء وأسباب تسميتها . ولاح لنا كأنهم اعتبروا لفظة (بيث) السابقة للفظتي عيد أو عيتو وكلتاهما بمعنى : جمع ، محفل ، ملأ ، وان لم ترد صراحةً في المعجمات التي بيدنا ، على ان هذا التركيب لا يمنعه القياس ولا أصول اللغة السريانية واصطلاحاتها ، فقد أحصينا فيها ١٧٧ لفظة تتقدمها (بيث) ومنها Beth - bauto مبيت Beth - Waᶜdo مجتمع ، مقرّ . Beth - houçoio محراب Beth - cnoushio مجتمع ، كنيسة Beth - cnoushto بيعة ، كنيسة النصارى واليهود Beth - nouro : معبد النار Beth - seghdto : مسجد ، معبد Beth-maᶜmro : منزل Beth-saubo : مجتمع ، كنيسة ، مدرسة Beth - sloutho : مصلّى ، معبد Beth-coudsho : مقدس Beth-shabtho : كنيس اليهود Beth-machrio : منزل Beth-teshmeshto مصلّى ، معبد .

ولا يبعد أبداً ان يكونوا صاغوا بيعة من Beth-ᶜido او Beth-ᶜito فاستعملوا فيها الادغام اذ أخذوا الباء والياء من (بيث) والعين والتاء من (عيد) مستبدلين الدال بالتاء ، كما فعلوا في (بيث إذرو Beth-edhro)

فقالوا فيها بيدر، آخذين من الأولى الباء والياء ومن الثانية الدال والراء . وقد نقل السيد رحماني في الليتورجيات ص ٥٦ ، نصاً قديماً يرجع الى المئة الرابعة ، ان الكنيسة كانت تسمى بيت الجماعة .

ولفظة (عيتو) وردت في سفر المزامير بمعنى : جماعة ، محفل ، وجاءت بالمعنى الذي نقصده في انجيل متى ١٨ : ١٧ «وان لم يسمع منهم فقل للبيعة ، وان لم يسمع من البيعة فليكن عندك كالوثني والعشّار» (الترجمات الموصلية القديمة والشديافية واليسوعية) والمراد بالبيعة هنا جماعة المؤمنين . ووردت بمعنى المصلّى والمعبد في أقوال شعراء الجاهلية من ذلك قول ورقة بن نوفل

أقول اذا صلّيتُ في كلِّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرت باسمك داعيا .

وقال لقيط بن معبد في عينيّته التي وجهها الى قومه تحذيراً لهم من كسرى ذي الأوتاد :

تامت فؤادي بذات الخالِ خرعبةٌ مرّت تريد بذاتِ العذبةِ البيَعا

(مختارات شعراء العرب لهبة الله العلوي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥)

وقال عبد المسيح بن بُقيلة :

من بدور فوق أغصانٍ على كثُبٍ زُرنَ احتسابا بيعَه

(معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) .

وأوردنا ص ٣٣٠ من المجلة ، قول الزبرقان بن بدر التميمي لما وفد على الرسول . وهذه الاسناد نقلناها من كتاب النصرانية وآدابها للأب شيخو (١ : ٢٠٢ و ٢٠٣)

ونعلم أيضاً ان جريراً سمي متعبّد المجوس «بيعة» بقوله :

مشيَ الهرابذ حجّوا بيعة الزُّونِ

والزُّون بيت الأصنام (اساس البلاغة ١ : ٤١٢) .

غير ان جريراً استعمل هذه اللفظة لمتعبّد المجوس الكفرة ، اما استهتاراً بسائق سفاهته وعصبيته البغيضة ، واما لضرورة الشعر ، على ان متعبّد المجوس

يسمى بيت النار كما ورد في فقه اللغة للثعالبي ص ٣٠٤ ، ومروج الذهب للمسعودي ١ : ٣٨١ — ٣٨٥ ، ويطلق عليه حيناً : هيكل وهو لفظ قديم خُصَّ غالباً ببيت الأصنام ، أما البِيعة فهي باجماع علماء العربية للنصارى ٠

ومما تجب ملاحظته ان لفظة (بيعة) عم استعمالها قديماً بلاد العراق والجزيرة ومصر ، فلا نجد سواها للدلالة على الكنيسة في الكتب التاليـة وهي : سير البطاركة الأقباط لسويرس ابن المقفّع اسقف الأشمونين المطبوع في باريس ، الجزء الأول ص ١٣ و ١٦ و ٤٩ و ٥٠ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٨ و ٧٣ و ٢٤٨ الخ ، ومقالة في أقسام الدين للشيخ ابي سهل المسيحي الجرجاني (مقالات دينية نشرها الأب شيخو ص ١١٨) وتواريخ ايليا مطران نصيبين وماري بن سليمان وعمرو ابن متى الطيرهاني من كتبة المئات الحادية والثانية والرابعة عشرة للميـلاد ، وكتاب التراجم السنية للجاثليق ايليا الثالث ابي حليم (١١٩٠ م) ١٤٣ و ١٤٧ و ١٦٨ و ١٧٠ و ١٨٨ و ٢٠٥ و ٢٣٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٩٢ و ٣٠١ وخطبة ليشوعياب بن ملكون الدنيسري مطران نصيبين نشرت في الكتاب المذكور ص ١٥٩ وقد كررها أربعاً ، ومقالته في الردّ على من يتهم النصارى بعبادة الأصنام لسجودهم للصليب (مباحث فلسفية انتخبهـا القس بولس سباط ص ١٥٩) وكتاب المرشد لأبي نصر التكريتي ، وفيه ذُكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في الأبواب الثالث عشر والسادس عشر والتاسع والعشرين والحادي والخامس والثلاثين ٠ وكتاب خطب الشيخ الصفيّ بن العسّال القبطي المطبوع عام ١٨٨٧ ص ٤ و ١٦ و ١٨ و ٢٢ و ٧٤ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ وفصوله في تثليث الاتحاد (مباحث فلسفية ص ١١١) والتاريخ الموسوم بتاريخ سعرت ج ١ ص ٩ و ٢٦ و ٣١ و ١٨٦ الخ و ج ٢ ص ٣٠٧ فضلاً عن تاريخ ابن بطريق وذيله ليحيى الانطاكي وسيرة يوحنا الدمشقي للراهب ميخائيل السمعاني الرومي وتاريخ مختصر الدول ، وتاريخ الطائفة المارونية للدويهي ، التي لا تخلو منها ٠

واذا طالعت كتاب فتوح الشام للواقدي (٨٢٣ م) الجزء الأول ص ٧٤ و ٨٠ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠١ و ١٨٩ و ٢٠٣ والجزء الثاني ص ٨٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤ و١٠٥ و١١٢ و١١٣ و ١١٤ و ١١٥ [1] . وفتوح البلدان للبلاذري (٨٩٢ م) ص ١٣٢ و ١٨١ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٣٤٠ وخصوصاً ما تضمنته من كتب عهود الأمراء الفاتحين ، والفهرست لابن النديم (٩٩٥ م) ص ٤٦٧ و ٤٩٠ . وتاريخ ماردين لعبد السلام ابن خطيب التكية (١٨٤٣) م وهو مخطوط في خزانتنا [2] ، نقف على هذه اللفظة أكثر بكثير من لفظة (كنيسة) .

كما انه لا يزال يستعملها خاصةً حتى اليوم ، نصارى ما بين النهرين والعراق ، فلا تكاد تسمع منهم لفظة كنيسة التي تسمعها اليوم خصوصاً في بلاد الشام .

فنخرج من بحثنا هذا بتأييد رأينا في أصل هذه اللفظة السرياني وطريقة اشتقاقها وزمان استعمالها .

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

حرف التاء

تِبن : التِّبن عصيفة الزرع من بُرّ ونحوه ، الواحدة تِبنة والتبّان بائع التّبن ، وتبّن جعل التبن في المتبن (أقرب الموارد ٧٣) وفي السريانية (تِبنو Tebno) تِبن (وتابين Tabèn) تَبّن ، و (تابونو Tabono) تبّان بائع التِبن (الدليل ٨٢٨) وقال هونورا ص ٣٠٢ هي بالسريانية والعبرية Tabana وبالآثورية Tibanu . فهي اذاً لفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية والعربية .

(١) من الثابت عند اهل التحقيق ان كتاب الواقدي ، وان كان سكبه في قالبه الحالي بعض الكتبة في اثناء الحروب الصليبية على الارجح ، فانهم حفظوا من اصله الفاظاً وعبارات شتى اوردها على علاتها .

(٢) وذكر ست بيع وثلاث كنائس لماردين ونصيبين .

تصحيح تُبّان : سراويل صغير ثبت عندنا أصلها الفارسي تعريباً من (تُنْبان)

تِمساح : التِمساح والتِمسح بالكسر ، حيوان يكون بنيل مصر وبعض أنهار السند (الشرتوني ١٢٠٩) وأضبط من هذا التعريف ما ورد في معجمي شامبريس ١٩٥ ولاريف ٣١٠ وهو : « Krokodelios , Krokodelius : لفظة يونانية تعني حرذَون ، ضَبّ ، وهي أحناش عظيمة الجثة تحكي في ظاهرها الحراذين أو الضِّباب » (١) . قال هونورا ٢٩٩ « واسم هذا الحنش بالآثورية Tamaçaku » وهو بالسريانية Tamsih , Temsah تِمساح تَمسيح (اودو ٦٢٧ والدليل ٨٤٢ وبرون ٧١٥) فاللفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعربية .

تِنّين : جنس حيوانات من العظاء الثُعبانيّات الألسنة (الشهابي ٢٣٠) توافقت فيها السريانية Tanino معجم أودو ٦٢٨ والدليل ٨٤٣ والعبرية ، تَنِين (برون ٧١٦) والعربية (هونورا ٣١٤) .

حرف الثاء

ثعلب : الثعلب من حيوانات ذوات الثدي ورتبة اللواحم وفصيلة الكلبيات ، مشهور بالتحيّل ، واللفظة توافقت فيها الآثورية Šelabu , Šaʿlabu (عن بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي Précis de linguistique sémitique) والسريانية : تَعلو Taʿlo والعربية .

ثَور : جنس حيوانات من رتبة المجترّات : توافقت في هذه الفينيقية Tor والسريانية Tawro والعبرية Shôr والعربية : ثَور ، والحبشية Toré كما توافقت اللاتينية Taurus واليونانية Tauro والغولية Taro (هونورا ١٤٦) والثَورة : البقرة ، وكذلك بالسريانية Tawrto تَورتُو .

---

(١) ومثله ماقال فيه صاحب المصباح المنير ٨٨٣ « التمساح من دوابّ البحر يُشبه الوَرَل في الخلق ، لكن يكون طوله نحو خمس اذرع واقلّ من ذلك ، ويختطف الانسان والبقرة ويغوص به في الماء فيأكله » .

حرف الجيم

اضافة الى الجالوث والجوالي . قال ابو اسحق الصابئ (المختار من رسائله ص ٩٩ و ١١١ و ٢١٤) «والى اعمال الجوالي بان يستخرجوا في المحرم ...» ويجتنبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات .

جبّار : قال هونورا ص ١٧٩ هي بالآثورية Kabbaru , Gabaru وبالعبرية Gabar وبالسريانية Gaboro . توافقت فيها اللغات الثلاث .

اضافة الى جَبْر (رجُل) لفظة سامية (هونورا ١١٤) .

اضافة الى جُدّاد ص ٣٤١ سطر ٢١ : قال البستاني في محيط المحيط ٢١٩ و ٢٢١ «جدّ الشيء قطعه ، وأصل المعنى في هذه المادة في اللغات السامية القطع . والجُدّاد : خُلقان الثياب . وكل متعقّد بعضه ببعض من خيط أو غصن ... معرّب كُذاد بالفارسية» .

وقال ابو علي اسمعيل بن القاسم القالي في كتاب «البارع» في اللغة الذي نشره ا . س ُفلتن Fulton في لندن عام ١٩٣٣ ص ١١١ «والجُدّاد الخيوط المعقّدة وهي مُعربة يقال لها بالنبطية كُداد وقال الأعشى :

«والليل غامر جُدّادها» أراد الخيوط سترها بسواده . اهـ

ُيضاف الى جدّف : انها سريانية وتوافقها العبرية (هونورا ٣٦٧) .

جِرجِس : قال المطران ادى ص ٣٩ : «الجرجس الشمع والطين الذي ُيختَم به والصحيفة تعريب جرجشت والفارسي مأخوذ من السرياني Gargeshto ، والقِرقس لغة فيه ، راجع كتاب فرنكل ص ٢٥٢» .

جِرّيث : قال البستاني في محيط المحيط ص ٢٣٠ «الجرّيث (كذا بالثاء المثلثة) ضرب من السمك ، ومنه قول الامام محمد «جميع السمك حلال غير الجرّيث» والجرّي سمك طويل قال المطران ادى ص٣٤ انها من أصل آرامي

Geriotho – (كيريوتو) . وفي معجم الأمير الشهابي ص ٥٨٠ الجِرِّيّ هو السمك المسمى Silurus glanis ، قال وهو يكثر في الفرات .

الجُزاف : « مثلثة الجيم والضمّ أفصح ، الحدس والتخمين في البيع والشراء معرّب كزاف بالفارسية ومعناه الأخذ بكثرة من غير تقدير » محيط المحيط ٢٤٩ .

يضاف الى جزير ص ٣٤٢ س ١٧ : قال ابو علي القالي في البارع : والجزير بلغة أهل السواد الخ وقال الشاعر :

اذا رأونا قلّصوا من مخافةٍ ويسعى علينـا بالطعام جزيرُ

قلّصوا يعني ضمّوا أيديهم دون التأبط وذلك من فعـل العلوج لكبيرهم كما يقول العِبادي : دِشْنت بكِيسر كرت اه .

يضاف الى الجص ص ٣٤٣ س ٢ : قال أبو علي في « البارع » ص ١١١ « الجصّ ، وقال الكلابيّون هذا الجِصّ وكسروا الجيم ، وقال بعضهم ، الجَص ففتح الجيم ، وقال يعقوب يقال هو الجِصّ والجَص ، وقال الخليل بكسر الجيم معروف وهو من كلام العجم ، ولغة أهل الحجاز في الجِص القَص . والجصاصات المواضع التي يعمل فيها الجِص » وقال صاحب محيط المحيط ٢٥٦ « الجَص : الجبسين معرّب كج بالفارسية او جِبْسُس باليونانية » .

جفنة : الجَفن أصل الكرم او قضبانُه ، والجَفنة واحدتُه . لفظة توافقت فيها الآثورية Gapnu والسريانية Goufno والعبرية Gephen والعربيـة . (هونورا ١٧٩) .

جلا : لفظة سامية Gala (هونورا ١٩٤) .

جَمَل : لفظة توافقت فيها الآثورية Gammalu والسريانيـة Gamlo والكلدانية والعبرية Gamal والحبشية Gamal والعربية (هونورا ١٣٣) وقال ولفنسون ص ٨ انها من اللغة السامية الأصلية .

اضافة الى جهنّم : وفي كتاب المسائل والأجوبة في الحديث واللغة تأليف عبد الله ابن قتيبة المتوفى سنة ٨٨٩ م ص **١٣** « سألتَ عن جهنم هل وجدتُ له ذكراً في الشعر القديم . وهـذا يحتاج الى تتبع وطلب ، وقد تذكرت فلم أذكر الاّ شيئاً وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت قال :

فلا تدنو جهنّم من بريءٍ وعَدْنٌ لا يُطالعها الأثيمُ
اذا شبّت جهنمُ ثم زادت فاعرض عن قوابسها الجحيمُ

وقرأت في الانجيل غير موضع « في جهنم ذات الوقود » .

قلنا ووردت جهنم في شعر أعشى قيس :

دعوت خليلي مِسْحَلاً[1] ودعوا له جِهِنّامَ جَدْعاً للهجين المذمَّمِ

حرف الحاء

اضافة الى حاج : قال عمرو بن كلثوم :

تمشي بِعِدْلَينِ من لُؤمٍ ومنقصة مشي المقيّد في اليَنْبُوتِ والحاجِ

حاشا : الحاشا شجرة شوكية صغيرة عيدانها كقش القناديل (محيط المحيط ٣٢٨) وكتب الينا صديقنا الأمير مصطفى الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية يقول : « الحاشا كلمة آرامية تدل عند العرب على أنواع من الصعتر Thym لم ترد في الأمهات من المعجمات ، ولا في الجزء الخامس من كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، ولكنها وردت في المفردات وفي شرح أسماء العقار وفي التحفة وفي التذكرة » .

حانة : وقعت في كلام ابي اسحق الصابئ ص **١٣٦** « وان يبطل الحانات » .

---

(١) مِسحل اسم تابعة الأعشى قاله الجوهري .

حصن : الحصن القلعة قال المطران أدى ص ١٢٧ « أما الحِصن فمعرب عن الآرامي Hesno حصنو ، نقلاً عن فرنكل ٢٣٥ — ٢٣٦ » ومالأه دوفال أيضاً على أصله السرياني ٣ : ١١٣ .

حلتيت : وفي محيط المحيط ٤٣٤ « والحِلتيت صمغ الأنجدان ولا يقال حلتيث .

حمار : قال بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي ص ٩٣ « هي بالسريانية : Hmoro وبالآثورية Imeru , Imaru » وقال ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ص ٨ « وهي من اللغة السامية الأصلية » وفي س ٢٨٤ — ٢٩٣ هي بالسريانية : Hmoro وبالآثورية البابلية : إمرو ، وبالعبرية ، حَمور ، وفي جنوبي الجزيرة والحبشة ، حمار .

حَول : قوّة : وقعت في بعض رسائل الصابي ، قال ص ٤٣ « فالحمد لله ذي المنّة والطَول ، والقُدرة والحَول » .

مار أغناطيوس افرام الأول برصوم

يتبع : بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس

أبو حَنِيفَةَ الدِّيْنَوَرِيّ
والجزء الخامس من كتاب النبات

تمهيد : اذا ألقيتَ نظرة على أسماء علماء العرب ، من صُرَحاء ومستعربة ، فأصبتَ فيهم رجلاً دَقَّ بين أدباء اليوم صيتُه ، بمقدار ما جَلَّ على لساننا الضادي فضلُه ، فذلك الرجل إنما هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري . لقد كاد هذا العلامة يكون مغموراً في أيامنا هذه ، فلا يعرفه الا القليل من الأدباء ، على حين ان بعض مصنفاته ، وأخص منها كتاب النبات وكتاب الأنواء ، كانت من أوثق الكتب التي اعتمد عليها ونقل منها أصحابُ معجماتنا المشهورة ، وأصحاب كتب المفردات والزراعة ، كابن سيده في المخصص ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروزابادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس ، وابن البيطار في مفرداته ، وابن العوّام في الفلاحة الأندلسية وغيرهم كثير .

وقد ذاع صيت هؤلاء المصنفين ، واستفاضت شهرة مصنفاتهم ، لأن كنوزهم الثمينة هذه لم تفقد ، والحمد لله ، بل عُثر عليها وطُبعت وصارت في متناول أيدينا . أما كتب أبي حنيفة الدينوري فقد ضاعت ، وياللأسف [1] ، فكاد

---

(١) إلا كتاب الأخبار الطوال ، وإلا الجزء الخامس من كتاب النبات الذي نتكلم عليه . وكتاب الأخبار الطوال ، كتاب في التاريخ ، وهو الوحيد الذي عثر عليه كاملاً ، وطبع في لَيْدن سنة ١٨٨٨ م ، وابث بلا مقدمة وبلا فهارس حتى سنة ١٩١٢ م ، وفيها وضع المستشرق أغناطيوس كراتشقوفسكي فهارسه ، وصدّرها بمقدمة متمة بالفرنسية ، وطبعها في ليدن ملحقاً للكتاب .

ينطمس بضياعها اسم هذا العالم الكبير ، وأمسى لا يُذكر الا عرضاً في الجمل التي نقلها عنه أصحاب كتب اللغة وغيرهم من المؤلفين . وقد خَمَل ذكره خمولاً عجيباً ، حتى ان ثلاثة من الأدباء قالوا لي انهم عندما يقرءون في أحد معجماتنا القديمة تفسيراً لكلمة نباتية ، معزواً الى أبي حنيفة ، فهم يتوهمون أن هذا الاسم إنما هو اسم الإمام أبي حنيفة النعمان ، لا اسم أبي حنيفة الدينوري فتأمل !

وفي أوائل سنة ١٩٤٩ م أوفدت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بعثة الى إسطنبول ، تبحث في خزانات كتبها عن المخطوطات العربية المهمة ، وتنسخ منها نسخاً بالتصوير الشمسي ، فعثر رئيسها الدكتور الأديب يوسف العش ، في خزانة جامعة إسطنبول ، على نسخة من الجزء الخامس من « كتاب النبات » ، وهو أجل مصنفات أبي حنيفة ، فكان الفرح بهذه اللُّقية عظيماً . وقد رغبتُ الى الإدارة المشار اليها أن تبعث اليَّ بصورة من هذه النسخة فحققت مشكورةً تلك الرغبة . وبعد تلاوتها بإمعان كتبتُ فيها وفي أبي حنيفة هذا المقال الموجز .

مولد أبي حنيفة وحياته : هو أحمد بن داود بن وَنَنْدَ ، أبو حنيفة الدِّيْنَوَرِيّ . ووَنَنْدُ هذه كلمة ايرانية كانت اسماً لجده . ومعناها الكاسب او الرابح ، على ما ذكره بروكلمن في تاريخ آداب اللغة العربية . أما كراتشقوفسكي فقد ذكر في مقدمة فهارس « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة ان ونند اسم نجم من النجوم ، أو اسم إلَـه يمثل ذلك النجم ، وأنه ذُكر كثيراً في كتب البَرْسِيِّين المقدسة . ويظهر ان الأشخاص كانوا يسمّون به .

وأخيراً كتب العالم پور داود ، أستاذ اللغات القديمة في جامعة طهران ، بناءً على طلبي ، تحقيقاً ممتعاً لمعنى هذه الكلمة ، ومما جاء فيه أنها كانت تدل على نجم وعلى الإلـه المختص به ، وأنها وردت مراراً في « الأوستا » مع غيرها

من أسماء النجوم ، وأنها كانت تكتب فيها بالتاء أي «ونند» ، وعندما نُقلت الأوستا الى البهلوية جُعلت التاء فيها دالاً ، وأنها النسر الواقع Vega عند بعض المحققين ، وقلب العقرب Antares عند آخرين ، وانها تطلق اسماً على الأفراد ككثير غيرها من أسماء النجوم ، وان معناها اللغوي القادر والغالب والظافر لا الكاسب ولا الرابح الخ .

وقد رُسم هذا الاسم بالتاء المثناة غلطاً اي «وَتَنَنْد» في معجم الأدباء لياقوت «طبعة مرجليوث وطبعة مصر للدكتور فريد الرفاعي» . ولكنه جاء صحيحاً بالنون في بغية الوعاة للسيوطي ، وفي خزانة الأدب للبغدادي ، وفي بعض الكتب الحديثة ككتاب بروكلمن الملمع اليه وكمعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس .

ودِيْنَوَرُ التي وُلد فيها ونُسب اليها بلدة ايرانية ليست ببعيدة عن حدود العراق ، وفي الموسوعة الاسلامية انها من العراق الفارسي . وقال ياقوت في معجم البلدان انها مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْمِيْسِيْن (كرمان شاه) ، وذكر أسماء بعض من نُسب اليها من الأدباء والعلماء .

ولم أجد في كتب التراجم ولا في كتب اللغة ذكراً للسنة التي ولد فيها أبو حنيفة . ويظن بروكلمن في الموسوعة الاسلامية انه ولد في السنين العشر الأولى من المائة الثالثة الهجرية . وقال الأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام (ج ١ ص ٤٠٢) : «ولد بدينور : ولم يُعلم تاريخ ولادته ، وإن كان يُرجح انها في العشرين الأولى من القرن الثالث الهجري» . ولم يذكر العالم الأول الأسباب التي جعلته يظن هذا الظن ، وكذلك العالم الثاني فهو لم يذكر الأسباب التي حملته على هذا الترجيح . وسيظل تأريخ ولادته مجهولاً ما لم نعثر فيه على نص قديم موثوق به . وفقدان هذا النص حمل الزركلي صاحب قاموس الأعلام على جعل تأريخ ولادته مجهولا .

وقد اختلفوا أيضاً في تأريخ وفاته . ولكن معظم الذين ترجموا له في القديم والحديث يرجحون كونه توفي سنة ٢٨٢ هـ قال ياقوت في معجم الأدباء : «مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ وجدتُ ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه . ووجدتُ في كتاب عتيق : مات احمد بن داود ابو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين . ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المُسَبِّح ، بكتاب النبات ، من تصنيف ابي حنيفة : 'توفي أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربعٍ بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين . ووجدتُ في كتاب الوَفيات لأبي عبد الله محمد بن سُفيانَ ابن هارونَ بن بنت جعفرَ بن محمد الفِرْيابِيّ البغدادي : مات أبو حنيفةَ أحمدُ بن داودَ بنِ وَتَنَنْد (كذا بالتاء) صاحب كتاب النبات في سنة إحدى وثمانين ومائتين» .

وفي بغية الوعاة لم يجزم السيوطي أيضاً تأريخ وفاته فجعله في جمادى الأولى سنة احدى وثمانين ومائتين ، او اثنتين وثمانين ومائتين ، او سنة تسعين ومائتين .

أما ابن الأثير في الكامل ، والقفطي في إنْباه الرُّواة على أنْباه النُّحاة ، وأبو الفداء في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، والبغدادي في خزانة الأدب فجميعهم أرخوا وفاته في سنة ٢٨٢ هـ . وكذلك أرخ سركيس في معجم المطبوعات والزركلي في قاموس «الأعلام» . وقال بروكلمان في الموسوعة الاسلامية : ان الآراء لم تتفق على تأريخ وفاته ، وقال : لكن يظهر أن السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ اي الرابع والعشرين من تموز سنة ٨٩٥ م هو تأريخ الوفاة الذي تكاد تجمع الآراء على قبوله . وهذا الرأي هو أيضاً رأي كراتشقوفسكي في المقدمة التي ألمتُ اليها ، ورأى معظم العلماء الأوربيين في القرن الماضي

وأوائل القرن الحاضر الذين جاءوا على ذكر أبي حنيفة ، مثل سلفستر دوساسي Sylvestre de Sacy ولوكلرك Leclerc وغيرهما .

والظاهر أنه قضى شطراً كبيراً من حياته في مدينة دينور ، وانه كان يقوم فيها بأعمال الرصد ، فوق أعماله العلمية اللغوية المختلفة . وله مع معاصره علاّمة الأدب واللغة أبي العباس المبرّد صاحب الكامل قصة طريفة تدل على علو كعبه في اللغة ، كما تدل على انه كان في الدينور عندما زارها المبرد [١] . وذكر عبد الرحمن أبو الحسين الصوفي العالم الشهير بالفلك والمتوفى سنة ٣٧٦ هـ أنه رأى في دينور البيت الذي ابث ابو حنيفة سنين طوالاً يرصد النجوم على سطحه [٢] .

ويستدل بأقوال المؤرخين العرب ، وبالشواهد الكثيرة التي قرأتها في الجزء الخامس من كتاب النبات ، على انه رحل الى البصرة والكوفة حيث تتلمذ على ابن السكيت وأبيه خاصةً ، كما رحل الى أنحاء مختلفة من جزيرة العرب ، حيث كان ينقل أسماء النبات عمن يثق بهم من الأعراب .

ومن الغريب ان كتب التراجم وكتب اللغة وكتب الأدب القديمة لا تذكر عن حياته الا الأقل الذي لا يشفي غليلاً ، على حين أن أصحاب هذه الكتب لا ينكرون فضله الكبير على اللغة . وضياع معظم كتبه أفقدنا ما ربما كان فيها من معلومات في هذه الناحية ، ولذلك لبثنا الى الآن جاهلين لأسرته وحداثته وتعلمه ومشايخه ، ورحلاته الى البلاد العربية ، واتصاله بأعراب القبائل للمدارسة أو للتأليف ، وكيف كانت مجالسه ومناظراته ، وما هي صلاته بأدباء عصره وبالسلطان ، ومن أين كان يرتزق ، ومن هم تلاميذه الخ .

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦ من الطبعة القديمة و ج ١ ص ٦١ من طبعة المكتبة السلفية .

(٢) عن كراتشقوفسكي في مقدمة « فهارس الأخبار الطوال » ص ٢١ و ٤٧ .

أقوال الأدباء فيه : لا شك أن أبا حنيفة كان من أنبه علماء عصره ، وأوسعهم ثقافة ، وأرسخهم قدماً في لغة العرب وآدابها ، وأكثرهم اطلاعاً على علوم تلك الأيام . فقد جعله ياقوت في معجم الأدباء : «نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه» . ومن قبله قال ابن النديم في الفهرست : «كان مفتناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، ثقةً فيما يرويه ومعروفاً بالصدق» . وكرر الأنباري والقفطي والبغدادي مثل هذا القول ؛ وكذلك السيوطي في بُغية الوعاة ، وأضاف انه وَرِع زاهد . ويلاحظ ان جميع القدماء الذين أتوا على ذكره في مصنفاتهم جعلوه ثقةً فيما يرويه أو يمليه . وذكره بعضهم بالصدق والورع والزهد وجلالة القدر ؛ وهي أدلة على بعض أخلاقه .

وفي ترجمة أبي حنيفة في معجم الأدباء كلام نقله ياقوت عن كتاب «تقريظ الجاحظ» لابي حيّان التوحيدي ، يُستدل منه على أن ابا حنيفة كان في نظر أبي حيان أحد ثلاثةٍ «لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم ، في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم ، مدى الدنيا ، الى ان يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر آخرِ ما يستحقه كل واحد منهم» ؛ وهؤلاء الثلاثة هم الجاحظ وأبو حنيفة الدينوري وأبو زيد احمد بن سهل البَلْخي . ويقول أبو حيان في أبي حنيفة : «انه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورُواء وحِكَم ؛ وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عرُوض كلامِ أبْدَى بَدَوِيّ ، وعلى طباع أفصح عربي» .

وذكر ياقوت أيضاً نقلاً عن كتاب «تقريظ الجاحظ» الملمع اليه ان بعض الأصحاب اختلفوا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ،

فحكّموا أحدهم فقال : «أبو حنيفة أكثر ندارةً ، وابو عثمان أكثر حلاوةً ؛ ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس ، سهلة في السَّمْع ، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب وأدخل في أساليب العرب» .

ومن المستشرقين الذين أطروا أبا حنيفة كثيراً المستشرق الرومي المشهور كراتشقوفسكي [1] فقد قال ما معناه ان آثار الجاحظ التي عُثر عليها تدل على علو كعبه في الأدب ، وعلى صحة رأي ابي حيان فيه وتحمسه له ، كما أنها تدل أيضاً على وجود اختلاف بين الجاحظ وأبي حنيفة في خصائصهما العلمية ، وكذلك بين ابي حنيفة وأساتيذه الأجلاء كابن السكيت وأبيه . فبينما اقتصر هؤلاء على المواضيع اللغوية اتسعت آفاق أبي حنيفة حتى شملت جميع فروع العلوم في أيامه . واذا كان أبو حنيفة قريع الجاحظ في عمق التفكير وسعة المعرفة ، فقد فاقه في دقة تصنيف العلوم ، وفي الابتعاد عن خلط بعض البحوث العلمية ببعض في كتاب واحد ، فجعل لكل موضوع علمي كتاباً ، على ما يتضح لنا من أسماء تصانيفه . ومن العجيب انه على الرغم من خوضه في علوم مختلفة فقد كان مالكاً لزمام مواضيعها ؛ فلا يكتفي بالرواية أو النقل ، بل يأتي بالآراء الشخصية الطريفة ، خلافاً لكثير من الأدباء المعاصرين له ، ولمعظم الذين جاءوا بعد عصره . ومع ان اللغة كانت الغرض الأساسي الذي حداه على تأليف كتاب النبات ، شأنه في ذلك شأن أساتيذه ومعاصريه ، فقد جاء هذا الكتاب فذاً في موضوعاته ، حتى انه فاق كثيراً كتب النبات اليونانية . وموجز القول في أبي حنيفة انه كان : «عالماً موسوعياً بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ» وانه حلق فوق أقرانه من علماء العلوم المختلفة .

هذه بعض آراء كراتشقوفسكي في أبي حنيفة ، كتبها بالفرنسية استناداً على ماجاء في كتب التراجم العربية ، وعلى دراسته لكتاب الأخبار الطوال ، وعلى آراء

(١) فهارس كتاب «الأخبار الطوال» انظر ص ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ من المقدمة .

بعض المستشرقين المتقدمين [1] . وجميعهم لم يكن لديهم إلا نُتَف من كتاب النبات ، مع الأسماء التي نقلها أصحاب المعجمات العربية عنه . وبعد العثور على الجزء الخامس من الكتاب المذكور وتلاوتي له ، أيقنت أن آراء كرانشقوفسكي فيه وفي صاحبه هي عين الصواب .

وفي الموسوعة الاسلامية مقال للمستشرق بروكلمن ذكر فيه ان أبا حنيفة كان لغويًا مواليديًا عربيا . وقال ان كتاب النبات له شأن كبير في تأريخ العلم . ثم وصف الكتاب وصفًا موجزًا بناءً على المعلومات التي أمكن استخراجها من المعجمات ، ولا سيما من المخصص ومن مفردات ابن البيطار .

مؤلفات أبي حنيفة : بلغت جملة مؤلفاته المعروفة أسماؤهـا عشرين كتابًا ، وهي التي ثبتت صحة نسبتها اليه . وكلها تقريبًا مذكورة في الفهرست وفي معجم الأدباء . وبعضها في إنباه الرواة على أنباه النحاة ، وفي الجواهر المضية ، وفي نزهة الألباء ، وفي خزانة الأدب ، وفي كشف الظنون . وهناك اختلاف في تسمية بعضها وفي نسبته الى أبي حنيفة .

وأعظم هذه الكتب شأنًا كتاب النبات . وهو يشتمل على ستة أجزاء كبار ، على ما أصبح محققًا بعد العثور على جزئه الخامس . وكان أبو حنيفة يُعرف بصاحب كتاب النبات ، اي انه عندما كان يقال صاحب كتاب النبات فمعناه أبو حنيفة دون غيره . وكل كتب النبات التي صُنفت قبله (ككتاب الأصمعي وكتاب أبي زيد) صغيرة لا تقاس به . وهو نسيج وحده من حيث

(١) يظهر ان أهم بحث في كتاب النبات كتبه سلبربرغ Silberberg بالألمانية في مجلة العلوم الآشورية Zeitschrift für Assyriologie - XXIV,1910, وهي 265 - 225 وكذلك XXV,1911, 39 - 88 ولم أطلع على هذا البحث الذي أطراه كرانشقوفسكي ولا شك انه جاء نتيجة لجهد كبير ، لأن جميع أجزاء الكتاب كانت يومئذ مفقودة .

احتواؤه على اسماء النبات وأسماء أجزائه وما يتصل به ، وعلى تحلية عدد من النباتات ، وعلى جملة كبيرة من الأشعار المتعلقة بالنبات ؛ وكل ذلك بأفصح لغة وأصحها . ولم يتصل بنا أنه ألف مثله من قبل ولا من بعد . وسنذكر فيما يلي من بحثنا هذا معلومات موجزة فيه ، مستقاة من الجزء الخامس الذي عُثر عليه في إسطنبول .

ومن مؤلفات أبي حنيفة كتاب الأنواء ، وهو في علم الفلك والألفاظ المتصلة به . ويعد أجل كتبه بعد كتاب النبات ، وقد أطراه أبو حيان التوحيدي بقوله في أبي حنيفة : «وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك» ، على ماسبق ذكره . ومدح البيروني هذا الكتاب ونقل عنه . أما ابن سيده في المخصص فقد نقل عدداً كبيراً من ألفاظه . وهو من أوثق الكتب في الأسماء الفلكية . ومن المؤسف فقده .

ومن تصانيفه في هذا الباب كتاب القبلة والزوال وكتاب الكسوف ، ويقول القفطي في هذا الكتاب الأخير : «تملكتُه بخطه» .

وله في الرياضيات كتاب البحث في حساب الهند ، وكتاب الجبر والمقابلة ، وكتاب نوادر الجبر .

وله في العلوم الدينية تفسير القرآن . قال أبو حيان : «ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ، ما رأيتُه ، وأنه ما سُبِق الى ذلك النَّمط» . وله أيضاً كتاب الوصايا ، وكتاب حساب الدَّوْر ، وهما في التركات وحساب تقسيمها .

أما في اللغة فمصنفات أبي حنيفة كثيرة . ولقد كان معدوداً من أئمة اللغة العربية ، ومن أعرفها بالنحو وبالكلم الفصاح ، وبالأدب من شعر وأخبار . وكان في طبقة أدباء عصره المشهورين كابن قتيبة والمبرد والجاحظ وابن دريد وأشباههم . وله في هذه الموضوعات كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ما يلحن فيه

العامة ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب إصلاح المنطق ، وكتاب الجمع والتفريق ، وكتاب جواهر العلم ، لم يرد ذكره إلا في كشف الظنون ، وكتاب الرد على لُغْدَة[1] الأصفهاني .

وصنف في التاريخ كتاب الأخبار الطوال ، وهو الكتاب الوحيد من كتب أبي حنيفة ، الذي عُثر عليه كاملاً ، وطُبع في ليدن سنة ١٨٨٨ م . وعبارته سلسة فصيحة من أروع الأدب الرفيع . وفيه معلومات قيمة ، ولا سيما أخبار الاسكندر والساسانيين وحوادث صفين والخوارج .

وذكر ابن النديم وياقوت والقفطي والبغدادي له كتاباً اسمه كتاب البلدان ، قالوا انه كبير . ولا ادري أهو كتاب تأريخ أم كتاب جغرافيا وأدب على غرار كتاب ياقوت .

وأغرب كتاب له هو كتاب الباه ، هكذا جاء اسمه في بغية الوُعاة ، وفي نزهة الألباء ، وفي معجم الأدباء . ولم يرد له ذكر في الفهرست ، ولا في إنباه الرُواة . وسماه البغدادي كتاب الباءة . ومن الغريب أن يؤلف في موضوع الباه رجل كأبي حنيفة قال فيه أبو حيان : « ... هذا مع وَرَعه وزهده وجلالة قدره » . فاذا صحت هذه التسمية يكون الطب هو موضوع الكتاب ، على ما جاء في كشف الظنون .

نسخة الجزء الخامس من كتاب النبات : قلت ان هذه النسخة المخطوطة قد عُثر عليها في خزانة جامعة إسطنبول . ويسمونها اليوم (إسطنبول أونيفرسيتهسي) . وهي فيها مرقمة برقم ٤٧١٦ ، وتشتمل على ٢٣٧ صحيفة أي ورقة . وفي كل صفحة من صفحتي الورقة ١٥ سطراً . ومعدل ما في كل سطر نحو

(١) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصفهاني المعروف بلُكْذَة ولُغْدَة . ذكر ياقوت في ترجمته انه كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، وانه كان بينهما مناقضات . « من تحقيق كرانشقوفسكي ص ٣٢ و ٣٣ من المقدمة الملمع اليها » .

ثماني كلمات . وطول الصفحة ٢٤ سنتيمتراً وعرضها ١٦٫٥ سنتيمتر . أما الصورة التي صورتها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فمساحة صفحتها أصغر ، فهي قد جاءت في طول ١٥٫٣ سنتيمتر وعرض ١١ سنتيمترا ، أي أن طول كل ورقة ١٥٫٣ سنتيمتر ، وعرضها ٢٢ سنتيمترا .

وصفحات النسخة الأصلية غير مرقمة . وقد رقّمت الادارة الثقافية أوراق نسختها المصورة فبلغت ٢٣٧ ورقة كما قلت ، وكل من أولاها وأخراها في صفحة واحدة ، فيكون المجموع ٤٧٢ صفحة . وأرقام الأوراق أي الصحائف السبع والثلاثين والمائتين هذه هي التي أشرتُ اليهـا مراراً في عرض كلامي التالي بقولي ص كذا .

والجزء الخامس الذى نتكلم عليه مؤلف من قسمين قسم عنوانه «ومن أنحاء صنعة القِسِيّ» وهو في ٧٢ ورقة ؛ وقسم في أسماء أعيان النبات ، مرتبة على حروف المعجم من الهمزة أي الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . وفي الورقة الأولى المؤلفة من صفحة واحدة جاء عنوان الجزء كما يلي : «الجزء الخامس من كتاب النبات تأليف ابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله . من قوله ومن أنحاء صنعة القسي الى آخر حرف الزاي» .

وعلى هذه الصفحة جمل كتبها الذين تملكوا المخطوطة منها : «من كتب خليل بن أيبك الصفدي» ، وهو العلامة المشهور .

وفي ص ٢٣٧ وهي الأخيرة : «تمّ حرف الزاي ، وبه تم الجزء الخامس ، ويتلوه في السادس ، ان شاء الله ، حرفُ السين . والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وصلى الله على رسوله المصطفى وآله وسلم . فـرَغ من كتْبه عبد الله بن سالم ابن الخضر بن محمد الماردبني غُفِر له ، وذلك سنة خمس وأربعين وستمئة هجرية في ربيعها الآخر حامداً ومصليا» .

وقد نقل الناسخ المذكور هذه النسخة عن نسخة كانت للقاضي ابي سعيد السيرافي مكتوبة بخطه . والواضح ان السيرافي جعل نسخته على أجزاء يزيد عددها على عدد أجزاء كتاب النبات الستة . فالجزء الخامس هذا من الكتاب جاء في نسخة السيرافي على جزءين جزء سابع وجزء ثامن . والأول منهما يشتمل على بحث القَسِيّ (ص ١ — ٧٢) ، والثاني على أسماء أعيان النبات من الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . ولذلك تنتهي الورقة ٧٢ بقول الناسخ :

« هذا آخر الجزء السابع من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ... » .

ثم في أول الورقة ٧٤ يقول :

«الجزء الثامن من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ومن خطه نُقِلَت » .

والخط في هذه النسخة حسن واضح . والكلمات فيها مشكولة بالشكل الكامل . ثم ان النسخة نفسها قد سلمت من عوادي الأيام ، فلبثت صحائفها محتفظة برونقها ، الا الصحيفة ٢١٤ فقد لُوثت بشيء أشبه مايكون بالحبر ، فانطمست بعض ألفاظها .

ولم أحص أسماء القسم الأول من الجزء ، وهي الأسماء المتعلقة بالقسي والسهام والقداح وما إليها . أما القسم الثاني المحتوي على أسماء أعيان النبات ، وأسماء بعض أجزائه ، فقد أحصيتُ فيه ٤٦٨ اسماً أولها الأَراك وآخرها الزِّيْر وهو من أسماء الكتان .

وصنف أبو حنيفة أعيان النبات ، في القسم الثاني هذا ، على حروف أوائل أسمائها ، لا على حروف أواخرها ؛ ودلل على رجحان هذه الطريقة ، ولكنه لم يراع في التصنيف الا الحرف الأول من كل كلمة . ففي باب ما أول حروفه ألف ، ترى كلمة أَراك مثلاً ، وقد أتت قبل كلمة أُتْرُجّ ؛ وترى كلمة أُقْحُوان قبل كلمة أَسَل . وفي باب ما أول حروفه الباء جُعل البطيخ قبل البصل وهكذا .

وعناوين البحوث التي جاءت في القسم الأول من الجزء الخامس هي : ص ٢

« ومن أنحاء صنعة القِسِيّ » ، ص ٩ « وضرب آخر من نعوت القِسِيّ في حال الرَّمْي عليها » ، ص ١١ وما تُحَلَّى به القوس » ، ص ٣٠ « ومن صفات النَّبْل » ، ص ٣٦ « ومما في القِدْح من أسماء طوائفه » ، ص ٣٩ « ومما يُجعل على القِدْح » ، ص ٥٣ « ومن أسماء السِّهام » .

وسَرْدُ أسماء الأعيان من النبات وتحليتها ، من الألف حتى آخر الزاي ، قد ملأ ١٦٤ ورقة من مجموع الجزء الخامس وهو ٢٣٧ ورقة . وعلى هذا ترجح عندي ان الجزء السادس المفقود يحتوي على جميع بقية الأسماء من السين الى الياء . ولذلك بت أعتقد ان كتاب النبات ينتهي بانتهاء الجزء السادس ، اي ان الكتاب مؤلف من الأجزاء الستة الكبار التي ألمع اليها البغدادي في خزانة الأدب . ومن الأدلة على ذلك قول أبي حنيفة في آخر باب القسي والسهام (ص ٧٢) : « وقد أتينا ، فيما قدمنا من أبواب كتابنا هذا ، على ما استحسنا تقديم ذكره ، قبل ذكر النبات نبتاً نبتاً ، فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات . ونحن آخذون في تسميتها ، ومحلو كل واحد منها بما انتهى الينا من صفته أو شاهدناه . وإن كان في شيء من ذلك اختلافٌ ، مما ينبغي أن يُذكر ، ذكرناه ان شاء الله » .

ما هي أبواب كتاب النبات ؟ لقد دلنا الجزء الخامس من الكتاب على مشتملات جزئه السادس والأخير ، وهي كما قلت أسماء أعيان النبات من السين الى الياء . أما مشتملات الأجزاء الأربعة الأولى فما برحت غير معروفة على الضبط . ولا نعرف أيضاً محتوى كل جزء منها على حدة . وقد حاولت أن أستخرج من تضاعيف الجزء الخامس ما أمكنني العثور عليه من أسماء أبواب تلك الأجزاء الأربعة ، فحصل عندي منها أربعة عشر باباً ؛ ذلك بأن أباحنيفة ، عندما يذكر بعض النباتات في الجزء الخامس ، يقول انه وصفها أو فسرها أو أمعن في شرحها في باب كذا وكذا من الأبواب السابقة . وكل هذه الأبواب

جاءت في الأجزاء الأربعة الأولى . فعندما يذكر الحنطة مثلاً يقول (ص ١٧٣) : «وقد وصفناها وصفاً بليغاً في باب الزرع» . وعندما يتكلم على لفظة البقل في ص ١٢٤ يقول : «وقد فسرنا ذلك في باب تجنيس النبات [1]» وهكذا .

والأبواب الأربعة عشر التي عثرتُ عليها هي : باب النخل ، وباب الكَرْم ، وباب الزرع «وفيه بحث القطاني» ، وباب الأصباغ أو باب ما يُصبغ به من النبات أو باب ما يُختضب به ويُصبغ من النبات ، وباب تجنيس النبات ، وباب وصف النبات العام له ، وباب العشب العام له «ولعلهما باب واحد» ، وباب النبات الطيب الريح «وقال مرةً الرائحة بدلاً من الريح» ، وباب اللثأ والصُّموغ ، وباب الكمأة ، وباب جماعة الشجر «او جماعات الشجر» ، وباب أوصاف الشجر العامة ، وباب الزّناد والنيران والأدخنة ، وباب النبات الذي يُتخذ منه الحبال والأرشية .

وقد نقل ابن سيده الى المخصص عدداً كبيراً من الأسماء الواردة في هذه الأبواب ، وعزاها الى ابي حنيفة .

ولا شك ان في أضعاف الأجزاء الأربعة المفقودة أبواباً أخرى لم يرد ذكرها عرضاً في الجزء الخامس . ففي باب الخمر من المخصص مثلاً ، وهو باب طويل (المخصص ج ١١ ص ٧٢ — ١٠١) كلام كثير منقول عن أبي حنيفة . ولا بد ان يكون ابن سيده قد نقله من أحد الأجزاء الأربعة لكتاب النبات . وكذلك قل في مواضيع المخصص المتعلقة بأشكال الأراضي وبالمياه والوديان والمغارس والمزروعات والحراثة والمراعي والخصب والجدب والكلأ والأنهار والعيون والقُنِيّ وغيرها مما امتلأت بأسمائها صفحات المخصص ولا سيما في جزئه التاسع

(١) يُفهم من تجنيس النبات تصنيفه على حسب قدّه ، أو على حسب استعماله او غير ذلك ، كأن يكون النبات بقلاً أو جَنْبَة او شجرا ، أو ان يكون من الحمض او الخُلّة ، او من الأحرار أو الذكور الخ .

والعاشر والحادي عشر . فمئات من تلك الأسماء التي عزاها ابن سيده الى أبي حنيفة إنما هي مقتبسة من أبواب الأجزاء الأربعة من كتاب النبات ، لأنه ليس لأبي حنيفة ، على ما نعلم ، كتاب غيره في هذه الموضوعات .

وعزاؤنا عن ضياع معظم أجزاء كتاب النبات كون أصحاب المخصص واللسان والقاموس والتاج قد نقلوا كثيراً من محتوياتها الى معجماتهم ؛ ولكن هيهات ان يكونوا قد نقلوا جميع صفات بعض النباتات ، وجميع الأبيات الشعرية المتصلة بها . فرب نبات ملأ الكلام عليه صفحتين أو أكثر من الجزء الخامس لم يُذكر في المعجمات في أكثر من سطر أو بضعة أسطر . ثم هناك الرواة الذين روى أبو حنيفة عنهم ، وعلماء اللغة الذين نقل عن كتبهم ، والأدباء والشعراء والرُجّاز الذين استشهد بأشعارهم ، فمعظمهم يظلون مجهولين عندما يكتفي أصحاب المعجمات بقولهم « قال أبو حنيفة » .

لغة كتاب النبات : رأيتُ أبا حنيفة يَميز الفصيح من الضعيف ، والعربي من المعرب ، والنبات الذي منابته بلاد العرب من النبات الذي منابته البلاد الأجنبية . ففي مادة الأُتْرُجّ مثلاً (ص ١٠٤) يقول :« والتُرُنْجُ لغة في الأترج رديئة » . وفي مادة أُرُزّ (ص ١٠٨ » يقول : « أُرُزّ ، ويقال بالفتح ، والأصمعي يأباه ؛ ورُنْز لغة رديئة » . ثم في مادة رُنْز هذه (ص ٢٢٩) يكرر قوله : « رُنْزُ لغةٌ في الأُرُزّ . ويقولون في الأُتْرُجّ تُرُنْج . وكل هذا قبيح مرغوب عنه » . وفي مادة رَيْهُقان (ص ٢٢٧) قال : « زعم بعض الرواة ان الزَعْفَران يقال له الرَيْهُقان ولم أجده معروفا » .

وجعل الخَلَنْج والبطيخ والباذنجان والجوز والجزر والجُل والبَهْرامج والبندق والكُرْكُم وغيرها من أصول فارسية ، ولكنها جرت في كلام العرب .

وعندما ذكر الحَبَاقا في ص١٦٨ قال : «لغة حِيْرِية ، وهو الحَنْدَقُوقَى ، وهذه نَبَطية ، وهي في العربية الذُرَق» .

وفي كلامه على الزعفران ص ٢٣١ قال : «الزعفران معروف ، لا أعرفه ينبت بشيء من أرض العرب . وقد كثر مجيئه في كلامهم وأشعارهم . قال ابو النجم ... وقال آخر ... ومن أسمائه الكُرْكُم وهو فارسي ، وقد جرى في كلامهم ... وهو الجادِيّ والجِسَاد والجَسَد» .

وقال في البَقَّم(١) ص ١١٣ : «البَقَّم شجر عِظامٌ أحمر يُصْبَغ بطبيخه ، وليس في شجر بلاد العرب ، وإن كان قد كثر مجيئه في أشعارهم ، ولكنه من نبات أرض الهند وأرض الزنج . وقد وصفناه في باب ما يُصبغ به من النبات ...» .

ولم ينس ذكر اختلاف النطق ، او الاختلاف في التذكير والتأنيث لدى مختلف القبائل ، فقال في التَمْر مثلاً ص ١٢٨ : «وأهل الحجاز يؤنثون التَمْر وأشباهه ، فيقولون هذه التمر . وأهل نجد وتميم يذكرونه ، وكذلك البُسْر والشعير والنَخْل ونحوه» .

واذا لم يسمع بتحلية نبات أقرّ بذلك . ففي مادة الجُدَّاة ص ١٥٢ يقول : «ولم أسمع لها بتحلية» .

هذه بعض الأمثلة . ويطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نتتبع أقواله المفيدة في هذه الأمور . وقد بدت لي ملاحظات على كلمات في صلب اللغة . فراجع كلمة جلبان مثلاً في اللسان والقاموس والتاج والمخصص فانك لا تراها مرسومة الا على شكل

(١) اسمه الفرنسي Campêche واسمه العلمي Hæmatoxylon Campechianum وهو شجر من القرنيات الفراشية . وهو غير البُقَّم بباء موحدة مضمومة . وهذا هو جَوْز ماثِل أي Datura metel من الباذنجانيات (عن معجم الألفاظ الزراعية من تأليفي) .

جُلُبَّان وجُلُبان . والمشدَّد في الأولى هي الباء . على حين ان ابا حنيفة ذكر في مادة الحَرْفَى ص ١٩٧ ان الحرف المشدد هو اللام لا الباء ، خلافاً لما رسموه . قال : « الحَرْفَى معرب وأصله فارسي ، من القَطاني ، وهو الحب الذي يُسمى الجُلُبَّانَ ، اللام مُشَدَّدة وربما خُفِّفت ، ولم أسمعها من الفصحاء الا مُشَدَّدة . واسمه بالفارسية الخُلَّر والحَرفَى » . ولم يصرح أبو حنيفة في مادة جلبان نفسها بحرفها المشدد . بل اكتفى بقوله : « ولم أسمعه الا بالتشديد ، وما أكثر من يخففه ، ولعل التخفيف لغة » . وربما كان تشديد الباء لغة ذكرها غير أبي حنيفة من القدماء وهو ما أجهله ، ولكن مما لا ريب فيه ان الحرف المشدد عند ابي حنيفة هو اللام لا الباء ، على ما جاء صريحاً في مادة خَرْفَى . وصرح الزبيدي ، في كلامه على المادة المذكورة في التاج ، بأن الخرفى الجلبان بتشديد اللام ، ومع هذا لم يشدد الا الباء في شرحه لمادة جلبان نفسها .

وراجع في اللسان كلمة أقحوان (مادة قحا) تجد ابن منظور يقول : « ... وقد حُكِي قُحْوانٌ ، ولم يُرَ الا في شعر ، ولعله على الضرورة » . أما أبو حنيفة فلم يقصر صحة القُحْوان على الشعر أو على الضرورة بل قال ص ٩٦ : « وقال الفَرَّاء اذا ألحقوا الألف واللام قالوا الأُقْحُوان والقُحْوان وأنشد :

خَضِراً يُشَبَّه بَردُهُ وبياضُه بالثَّلْج أو بمنابت القُحْوانِ » .

وواضح أن البيت للاستشهاد لا لقصر استعمال القحوان على الشعر . ونحن في الشام ، ولا سيما في لبنان وجبل الشيخ ، ما برحنا الى اليوم نستعمل كلمة القحوان ونطلقها على نوع من البهار اسمه العلمي Anthemis cotula [1] .

(١) كانت العرب تطلق الأقحوان على أنواع نباتية من جنس البهار Anthemis منها البابونج A. nobilis ، وعلى انواع من جنس Chrysanthemum وهو الجنس الذي له انواع وأصناف كثيرة تزرع لزهرها وتسمى الأراولة في مصر وزهرة الغريب في دمشق . وقد اطلقت في معجمي اسم الاقحوان على هذا الجنس تعميماً فسرى ، وصارت الجمعية الملكية الزراعية في مصر مثلاً تسمي معرض هذه الأزهار « معرض الأقاحي » .

ويتضح من ذلك ان هنالك مجالاً واسعاً للبحث عن صحة كثير من الألفاظ التي وردت على شكل ما في الجزء الخامس من كتاب النبات ثم وردت في الأمهات من المعجمات على شكل آخر . ومن المعلوم ان كتاب النبات هو المرجع والحجة في ألفاظه . ولم يطعن أحد في صحة تلك الألفاظ ، الا علي بن حمزة البصري ، فان له كتاباً اسمه التنبيهات على أغلاط الرواة (« أو أغاليط الرواة ») ، قال البغدادي في ص ٣٦ من الطبعة السلفية ، انه ذكر فيه أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وأغلاط الغريب المصنف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لابي عبيد ، وأغلاط الفصيح لثعلب ، وأغلاط الكامل للمبرد وغير ذلك . قلت يلوح لي ان كتاباً يتناول بالنقد ألفاظاً لجميع هؤلاء الأئمة ، لا يصيب كتاب النبات منه الا رشاش ضئيل ، وسيظل كتاب النبات أهم مصدر للأسماء النباتية الصحيحة .

تحلية النبات وذكر الأصناف الزراعية : ليس كتاب النبات في الحقيقة كتاباً في علم النبات ، ولا في زراعة النبات ، بل هو سفر في لغة هذا الفرع من المواليد ، أي في أسماء أعيان النبات ، وفي الألفاظ التي لها صلة بالنبات ، مع تحقيق صحة الصحيح منها ، والاستشهاد على صحته بما كتبه أئمة اللغة وفحول الشعراء قبل أبي حنيفة ، وبما سمعه أبو حنيفة من أفواه الموثوق بكلامهم من معاصريه ، ولا سيما الأعراب . فاللغة إذن هي الأساس في هذا الكتاب ، ولكن ليست جميع النباتات مشهورة ، ولذلك رأينا أبا حنيفة يحلي بعضها تحلية حسنة . ورأيناه يذكر أصناف بعض النباتات الزراعية ويحليها أيضاً . ومن الطبيعي القول بأن هذه التحلية بسيطة لا تتجاوز بعض الصفات الخارجية للنبات . ومع هذا فهي ليست بالشيء القليل ، ولا سيما في تلك الأيام البعيدة . فهو يصف

الرُّقَع مثلاً بما يلي ص ٢٢٩ : « رُقَعٌ الواحدة رُقَعة . أخبرني أعرابي من أهل السَّراة قال : الرقعة شجرة عظيمة كالجَوْزة ، ساقها كساق الدُّلبة ، ولها ورق كورق القَرْع ، أخضر فيه صهبة يسيرة ، ولها ثمر أمثال التين العظام ، كأنه صغار الرُّمَّان ، لا ينبت في أضعاف الورق كما ينبت التين ، ولكن من الخشب اليابس يَتَصَدَّع عنه ؛ وله معاليق وحَمْل كثير جداً الخ . » .

ويصف بعض أصناف العنب مما كان معروفاً في تلك الأيام فيقول مثلاً ص ١٠٨ : « أصابع العذارى : صنف من العنب أسود طوال كأنه البَلُّوط ، يُشَبَّه بأصابع العذارى المخضبة ، وعنقوده نحو الذراع ، مُتداحِس الحب ، وله زبيب جيد ، ومنابته السراة . وقد وصفناه في باب الكرم » .

والإِقْماعِيّ صنف آخر من العنب حَلاَّه بقوله ص ١٠٨ : « إِقْماعِيّ : وكذلك الأقماعي نوع من العنب عليه معوّل الناس ، وعنبه أبيض ، ثم يصفرّ أخيراً حتى يكون كالوَرْس ، وحبه مدحرجٌ كبارٌ ، وعناقيده مكتنزة ، وماؤه كثير ، ويُعْتَصر ويُزَبَّب أيضاً . وقد ذكرناه » .

ومما حلاه عدد من أصناف التين . وروى هذه التحلية عن رجل من أعراب السَّراة وهم ، على ما قال أبو حنيفة ، أهلُ تينٍ . والأصناف المذكورة كالجِلْداسِيّ والقِلاَّرِيّ والطُّبَّار الخ . سردها ابن سيده في المخصص صنفاً صنفاً على الترتيب نفسه ، ولكنه أوجز في التحلية ، ولم يقل انه نقلها عن أبي حنيفة ، خلافاً لمألوف عادته (المخصص ج ١١ ص ١٣٧ و ١٣٨) .

ويتضح من هذه الأمثلة ان أبا حنيفة بذل جهده في التعريف ببعض أنواع النبات وببعض الأصناف الزراعية التي كانت تزرع في أيامه ، وكل ذلك بلغة غاية في البلاغة . ولا شك أن الأعراب في ذلك الزمن كانوا دقيقي الملاحظة ، وصّافين لما يحيط بهم من أحياء وجمادات . ولذلك جاءت تحليتهم لبعض النباتات سائغة حتى في عصرنا هذا .

الأدب في كتاب النبات: من المعروف أن أبيات القدامى من الشعراء كانت تُعد من الحجج التي يَستشهد بها علماء اللغة على صحة لفظ من الألفاظ . وكتاب النبات آية في هـذا الباب . فالأبيات الشعرية التي ورد ذكرها في الجزء الخامس كثيرة جداً . واذا كانت قد وردت على هذه النسبة في بقية الأجزاء يكون في الإمكان أن يؤلَّف منها ومن شرحها سفر عظيم في أدب النبات وما اليه . وجميع تلك الأبيات الشعرية من نظم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام . وها كم بعض الأمثلة على ورود الشعر في معرض الكلام على النبات :

ففي الكلام على الأُقْحُوان ص ٩٥ يقول: «الأقحوان ، والواحدة أقحوانة ، والجميع الأقاحِيُّ بالتشديد ، والأقاحِيْ بالتخفيف ، قال ذو الرُّمَّة في التشديد ، ووَصَفَ نساءً :

تَبَسَّمْنَ عن نَوْرِ الاقاحِيِّ في الثَّرَى
وفَتَّرْنَ من أبْصار مَضْرُوجةٍ نُجْلِ

وقال أيضاً في التخفيف :

تَبَسَّمَ لَمْحُ البَرْقِ عن مُتَوَضِّحٍ
كنَوْرِ الأقاحِيْ شافَ ألوانَهُ القَطْرُ

وقال ابن لأي : بين أقاحٍ وخُزامَى وخَضِر » .

ثم نقل بعد هذا كلام الفراء في القُحْوان وهو ما سبق لي ذكره الخ .

ولا يُظننَّ انه اقتصر ، في ذكر الشواهد الشعرية ، على النباتات المعروفة التي لها زهر أو ثمر جميل . فثمة نباتات عديدة برية لا يخطر ببال أحد أنه يقال في مثلها شعر ، ومع هذا فهو قد روى للشعراء فيها أبياتاً من الصعب العثور عليها في كتب الأدب القديمة المطبوعة ، أو البحث عنها هنا وهناك في ما لم يضع

من دواوين القدماء من شعرائنا . وربما كانت كتب اللغة والأدب المعروفة قد خلت من كثير من تلك الأبيات .

فالنبات المسمى البَلَسْكاء مثلاً هو الذي نسميه بالعامية « دُبَّيْقة » ، وفصيحه اللُّصَيْقَى ، وهو مضر ينبت عرضاً في الحقول وحواليها ، واسمه العلمي Galium aparine من فصيلة الفُوِّيّات . وأشهر ما فيه ثماره ، فهن صغار كروية عليها أُبَيرات معقوفة . فاذا مست ثوب الانسان انفصلت عن النبات ولصقت بالثوب . فأبو حنيفة قال في البلسكاء ص ١٢٣ : « ذكر بعض الرواة أنه نبات يتعلق بالثوب فلا يكاد يفارقه وأنشد :

تُخَبِّرنا بأنكَ أَحْوَذِيٌّ وأنت البَلَنْسَكاء بنا لُصُوقا » .

قلت من معاني الأحوذي السريع في السير وفي كل ما أخذ فيه وأصله في السَفَر . فالذين يعرفون البلسكاء في البساتين والحقول يدركون على الفور مقدار ما في هذا البيت من سخرية . وفي اللسان أن هذا البيت للعَمَيْثَل . وفيه يُخَبِّرنا بدلاً من تخبرنا .

والبَرْدِيّ نبات مائي مشهور اسمه العلمي Gyperus papyrus وكان له شأن ولا سيما لدى المصريين الأقدمين . وهو نباتياً عشبة كالموز لا شجرة . ولكن ساقه الهشة العريانة تبلغ ثخن الذراع ، وتعلو مترين أو أكثر ، وفيها شحمة أي لب كانوا يأكلونه أو يصنعون منه فتائل للسُرُج والمشاعل . ويظهر ان شعراءنا القدماء كانوا يعجبون بسُوق البَرْدِيّ ، وانهم كانوا يشبهون بها سيقان الحسان من النساء ، ولذلك بعد أن يصف ابو حنيفة البردي وصفاً حسناً (ص ١١٢ و ١١٣) يقول : ان ساق البردية هي كأحسن ما شُبهت به سوق النساء ، ثم يأتي على ذكر ستة أبيات من الشعر لستة شعراء ، وكلها في هذا المعنى . وأولها لابن ميّادة وهو :

وساقانِ كالبَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهما
بِوَادِي القُرَى نَهْرٌ تَدِبُّ جَداوِلُهْ

وليست كل الشواهد الشعرية المتصلة بشتى النباتات مما يُدرج في باب الغزل . ففي تضاعيف الكتاب أبيات يمكن إدراجها في جميع أبواب القريض . ولكن الوصف هو السائد ، لأن في حياة القبائل في الجزيرة مجالاً لذكر النبات في أغراض كثيرة وصفًا وتشبيها .

مراجع الكتاب : لم يأت ابو حنيفة الدينوري بكلمات من عنده ، اي انه لم يضع اسماً لنبات ولا لجزء من نبات . ومعظم الأسماء والأفعال التي أثبتها في كتابه ، سواء أكانت عربية أم معربة أم مشتقة ، قد عزاها الى من سبقوه من علماء اللغة ، أو الى الذين وثق بكلامهم من الأعراب ، او الى الشعراء الذين ذكروا تلك الكلم في شعرهم ، وصحّ عنده الاستشهاد بها . ولكنه في كل ذلك يبرز شخصيته القوية فيرجّح الراجح ، ويقبّح القبيح ، ويسقط المرذول من الكلام .

فهو يقول مثلاً : قال الأصمعي ، وقال أبو عبيدة ، وأخبرني أعرابي من رَبيعة أو من عَنَزة أو من بني أسَد أو من أهل السَّراة أو من أعراب عُمَان ، وقال بعض علماء الأعراب ، وسمعت بعضَ اليمانية يقول وهلم جرا .

وهاكم ثلاثة أمثلة :

الأول في الكلام على الجِرْجِير ص ١٠ قال : « ... وقال الفَرّاء تُخَفَّف جرجير فيقال جِرْجِر . ويقال لها الكَشْأة . وسمعتها من الأعراب غير مهموزة » .

والثاني في الكلام على الدُّجْر ص ٢١٠ : « الدُّجْر اللُّوبياء – وبعضهم يقول الدَّجْر – والواحدة دُجْرة . وزعم بعض الرواة انه يقال له الثامِر ، ولم أر ذلك معروفاً . وقال أبو زياد هو اللُّوْباء ، وقال كذا تكلم به العرب ... »

والثالث في الكلام على الرَّنْد ص ٢١٨ : « يذهب قوم الى أنه الآس وأنكر أبو عبيدة ذلك وقال ... » .

ويتضح من ذلك ان طريقته هذه لا تختلف عما كان متبعاً في ذلك الزمن ، ولا عما اتبعه أصحاب المعاجم من بعده وذكروا اسمه كثيراً في أسانيدهم .

وعلماء اللغة الذين نقل أبو حنيفة عنهم كثيرو العدد منهم الأصمعي وأبو عبيدة وابن الأعرابي وأبو زيد والكسائي والفرّاء وأبو نصر واليزيدي واللحياني وأبو زياد الأعرابي وغيرهم . وقد أكثرَ النقلَ عن أبي زياد ، وذكر اسمه ونسبه عند ذكره لأول نبات من النباتات التي رتب اسماءها على حروف المعجم وهو الأراك (ص ٧٥) فقال : « ... قال أبو زيادٍ الأعرابي يزيدُ بن عبد الله الكلابي أحد بني عبدِ الله بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة : الأراكُ من العِضاه .. الخ » »

أما الشعراء والرُّجّاز الذين استشهد بشعرهم فهم كُثُر ، منهم لَبيد والأعشى وامرؤ القيس وعَدِيّ بن زيد وطَرَفة والنابغة الذبياني والأخطل والراعي وجرير والفرزدق والمُرَقّش وذو الرمة وعنترة وأوس بن حَجَر وعلقمة بن عَبْدة والطِرِمّاح وابو النجم والعجّاج وحسّان وكعب بن زُهَير وابن مَيّادة وأُحَيْحة بن الجُلاح وقيس بن الخَطيم وعمرو بن كلثوم وكُثَيِّر وابن هرمة والشمّاخ والجَعْدي والحُطَيْئة والنَمِر بن تَوْلَب الخ .

الخلاصة : لقد عاش أبو حنيفة الدينوري ، رحمه الله وطيَّب ثراه ، في العصر الذي ضُبطت فيه اللغة العربية ، وازدهرت آدابها ، ونُقلت اليها علوم الأقدمين ووُسّعت وصُبَّت في ثقافة عربية كانت في تلك الأيام أشمل الثقافات وأوسعها في العالم كله . ولا شك أنه كان من أبرز العلماء الذين بنوا ذلك الصرح اللغوي والعلمي الشامخ الذرى .

وهو لم يكن في علم النبات من طبقة ابن الصوري وابن البيطار مثلاً ، ولكنه كان متفوقاً عليهما وعلى غيرهما من المتقدمين والمتأخرين بمعرفة أسماء أعيان

النبات ، وأسماء أجزائها المختلفة ، وأسماء ما له صلة بها ، مع تمييز بين الفصيح والمولّد ، والعربي والمعرّب ؛ يضاف الى ذلك دقةٌ وأمانة في النقل عمن سبقوه ، وفي الأخذ عن الأعراب ، سواء في تسمية النبات ام في تحليته .

والرجل الذي استطاع أن يصنف في مختلف علوم عصره ، بذلك البيان المشرق ، والذي أجمع أصحاب كتب التراجم على جعله صادقاً وثقة فيما يرويه ويحكيه ، لخليق بالنعت الذي نعته به صديقي الزركلي صاحب قاموس الأعلام مذ قال فيه انه نابغة من نوابغ الدهر .

ولقد كنتُ مزمعاً على تحقيق الجزء الخامس من كتاب النبات ونشره ، على أن أذكر الأسماء العلمية لمعظم ما حواه من أعيان النبات ، وان أذكر أيضاً بالفرنسية ترجمة عدد من أسماء أجزاء النبات ، وأن أشرح علمياً ما يحتاج الى شرح ؛ ولكنه اتصل بي ان لجنة التأليف والترجمة والنشر في القطر المصري الشقيق قد اتفقت هي والدكتور محمد حميد الله الهندي على تحقيقه ونشره ؛ ولذلك أحجمتُ لكي لا يتكرر العمل دونما فائدة .

ويا ليت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، التى يرجع اليها الفضل في العثور على هذا الجزء من الكتاب ، تفتش في كل مكان عن بقية أجزائه المفقودة ، فانه يتيسر لها من وسائل البحث والتنقير ما لا يتيسر لكثير من الأفراد والجماعات .

مصطفى الشهابي

مصطلحات ابن خلدون

لا شك في أن ابن خلدون كان له فضل عظيم على أكابر الكتاب في أوائل هذا العصر ، فان الذين أجروا أقلامهم في موضوعات الاجتماع رجعوا اليه في الاستعانة بطائفة من ألفاظه وتراكيبه فهو الذي هداهم الى كلمات الحضارة والمدنية والكماليات والضروريات وما شابه ذلك وهو الذي أرشدهم الى التراكيب الآتية : التوسع في مذاهب الحضارة واستفحال العمران وما ماثلها ، ولكن المهم ان نعرف هل اخترع ابن خلدون هذه المصطلحات التي دلت على المعاني الحديثة ام انه وجدها جارية على أقلام من تقدمه من الكتاب فاستعملها على وجوهها دون شيء من التحويل ؟

لقد مضت لابن خلدون في مقدمته عبارات دلت على الموضوعات التي عالجها وهي في رأيه علوم غريبة وحكم محجوبة قريبة ، ثم مضت له عبارات دلت على شعوره بابتكار علم العمران ، فانه يقول :

اعلم إن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدّى اليه الغوص .

ويقول في موضوع آخر :

لعمري ، لم اقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة .

ويستمر في هذا النحو فيقول :

ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاماً ، وأعثرنا على علم جعلنا سنّ بكره وجهينة خبره .

أكتفي بهذا المقدار من الاستشهاد للدلالة على شعور ابن خلدون باختراعه

علم العمران ولست أرمي في هذا المقال الى الخوض في هذا الاختراع فقد خاض فيه كثير من رجال هذا العصر وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الله عنان والدكتور كامل عياد والدكتور صبحي المحمصاني وآخر من درس ابن خلدون دراسة مبنية على أصول علمية انما هو الأستاذ ساطع الحصري ، فالذين يهمهم هذا الأمر يستطيعون ان يرجعوا الى كتابات هؤلاء الأساتذة فموضوعي غير موضوعهم ، وخاطري غير خاطرهم .

أحاول في مقالي هذا المختصر ان أصل الى النتيجة الآتيـة : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة أم سبقه اليها السابقون .

انا نعلم ان العلوم المستحدثة والمذاهب الجديدة تستلزم الفاظاً وتراكيب حديثة وأقرب مثل منا انما هو الاسلام فقد جاء الله بالاسلام وجاءت بمجيئه الفاظ نقلت من مواضع الى مواضع في اللغة لا مجال الى ذكرها في هذا المقام فقد اشار اليها أئمة اللغة في كتبهم وفي جملتهم ابن فارس في كتابه الصاحبي ، وسميت هذه الألفاظ : الألفاظ الاسلامية وما جرى في هذا الباب جرى في غيره من الأبواب مثل النحو والتصريف والشعر والعروض وغير ذلك ، كانت هذه الأبواب كلها تسمى في القديم علوماً وضع لها اصحابها ألفاظاً دلت على موضوعات علومهم ، وثبتت هذه الألفاظ على وجوهها حتى يومنا هذا فلم يعف زمننا الذي نعيش فيه على شيء من الألفاظ الاسلامية كالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق وأشباهها فقد احتفظت هذه المصطلحات بأصول معانيهـا لأن الاسلام لا يزال ثابت الأركان فلم تتحول ألفاظه من وجه الى وجه .

وما جرى على ثبات الألفاظ الاسلامية جرى على ثبات الفاظ بعض العلوم فلا نزال في التصريف والنحو نستعمل الفعل والاسم والحرف والاعراب والبناء وغير ذلك من المصطلحات لأن النحو لا يزال ثابت الأركان ، اختلفت آراء

اهل البصرة والكوفة وبغداد في بعض قواعده ولكن اركانه لم تتضعضع ولهذا بقيت الفاظه ثابتة تدل على أُصول معانيها ٠

وما نظن ان الأسماء تنقل في اللغة من مواضع الى مواضع ، أي تتحول معانيها الاّ اذا تحوّلت أُصول هذه المعاني فالاسلام لا يزال اسلاماً والنحو لا يزال نحواً ولهذا بقيت لغتها على حالها ٠

أجتزئ بهذا المبلغ من التمهيد وأسرع الى الخاطر الذي خطر ببالي : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغريبة ٠

كيف خطر ببالي هذا الخاطر ٠

لما شرعت في دراسة أدبنا من خمس وثلاثين سنة كنت أُدون في دفاتري الخاصة طائفة من كلام رجاله ومن جملة هذا الكلام المدون عبارة لابن خلدون وهذا نصها :

آخر أُفق المعادن متصل بأول أُفق النبات مثل الحشائش ومالا بذر له وآخر أُفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أُفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لها الا قوة اللمس فقط ٠٠٠٠ واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكرة والروية ٠٠٠ وكان ذلك اول أُفق من الانسان ٠

ويستمر ابن خلدون في تدريج الانسان حتى يصل به الى أُفق الملائكة ٠٠٠

هذه عبارة وجدتها مدونة في دفتري من أول نشأتي على الأدب ، حفظتها على الأيام فلم تذهب عن ذهني ثم عادت اليّ في هذا الوقت فأحببت ان اعرف هل اخترع ابن خلدون هذه الألفاظ والتراكيب ، وما كنت أفكر هذا التفكير من خمس وثلاثين سنة لأن دراستنا الأدبية لم تفتح أذهاننا للتعمق في دراسة الألفاظ وتسلسلها على النحو الذي نجري عليه في هذا العصر ٠

ان عبارة ابن خلدون التي استشهدت بها تدل على مذهب في الفلسفة مشهور ، أصحاب هذا المذهب « لامارك » و « داروان » و « سبنسر » كان الفلاسفة في القديم يعتبرون ان انواع الحيوان تخلق لمرة واحدة فلا تتغير خلقتها ولم يشذ عن هذا الاعتبار الا ابيقور والأبيقوريون فلما جاء الفلاسفة الذين أشرت اليهم نقضوا هذا الاعتبار وقالوا ان المادة استحالت في صدر الأمر الى النبات ثم الى الحيوان الأدنى ثم الى الحيوان الأعلى ثم الى الانسان وجدنا الأول انما هو السمك واذا ذهبنا الى أبعد من ذلك فجدنا الأول النبات .

جالت هذه الفكرة في القرن الثامن عشر في ذهن الفيلسوف الفرنسي « لامارك » ثم وضحها « داروان » أكمل توضيح ثم عرضها « سبنسر » عرضاً جديداً واستخرج منها نتائج في الفلسفة العامة وقد سمى اصحاب هذه الفكرة مذهبهم : التطور [1] .

هذا هو المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون في عبارته ، فهل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه .

لم يسم ابن خلدون هذا المذهب « تطوراً » لأن لفظ التطور انما هو من مستحدثات هذا العصر ، ولكنه سمّاه اسماً آخر واذا رجعنا الى شرح هذا المذهب استطعنا ان نهتدي الى هذا الاسم ، فقد قال في خلال بسطه للمذهب :

ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب ان يصير أول أفق الذي بعده ...

فالمذهب الذي شرحه ابن خلدون سماه : الاتصال وهذا العصر يسميه التطور ، والاتصال والتطور في معناهما الفلسفي شيء واحد ، لأن أصل الأمر فيهما استحالة المادة الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان وقد اتفق ابن خلدون وفلاسفة التطور على هذا الأصل .

(١) « فاكه » في كتابه : المدخل على الفلسفة .

والآن نرجع الى السؤال الذي سألناه : هل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه ؟

اني لا أعنى في هذا المقال بالشق الأول من السؤال فان الذين يعنيهم هذا الأمر يجدون سبيلاً الى التحقيق في الرجوع الى الفلاسفة الذين ظهروا قبل ابن خلدون ، ثم في الرجوع الى فلاسفة الاغريق ، فاذا فعلوا هذا وصلوا الى ما يريدون ، وانما أعنى بالشق الثاني من السؤال : هل اخترع ابن خلدون الفاظ مذهب الاتصال او التطور ؟

لا نستطيع ان نجد الجواب عن الذي نسأل عنه الآن اذا رجعنا الى الكتّاب الذين تقدموا ابن خلدون وجالوا مجاله .

ذكرت كتب التاريخ ان ابن خلدون توفي سنة ٨٠٨ فلنرجع الى كاتب توفي سنة ٦٨٢ وهو القزويني صاحب : عجائب المخلوقات ، يقول في بعض كتابه :

فان المعادن متصلة اولها وآخرها بالنبات ، والنبات متصل اوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل اوله بالنبات وآخره بالانسان ، والنفوس الانسانية متصلة اولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية ..

نحن نرى من كلام القزويني ان المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون وهو مذهب الاتصال قد ذكره القزويني قبله بجذافيره ، وذكر ألفاظه ، فنستنتج من ذلك ان القزويني سبق ابن خلدون الى فكرة الاتصال وألفاظها .

واذا تركنا القزويني وانحدرنا الى ابن الطفيل وقد توفي سنة ٥٨١ وجدناه في كتابه : حي بن يقظان يشير الى مذهب «التطور» ولكنا نتخطاه لأن غايتنا الاهتداء الى الألفاظ التي استعملها ابن خلدون ، لا الى الفكرة التي وضحها .

ثم اذا تركنا ابن الطفيل ورجعنا الى ابن مسكويه وقد توفي سنة ٤٢١ وجدناه في كتابه : تهذيب الأخلاق يشير الى مذهب الاتصال نفسه والى ألفاظه .

ذكر ابن مسكويه مراتب الجماد والنبات والحيوان وقد استعمل فيها لفظ الأُفق فقال : فلذلك هي في أُفق الجمادات ... ثم قال : ويصير في أُفق الحيوان ... وكذلك استعمل الاتصال فقال في مراتب الأُفق الانساني : وأول هذه المراتب من الأُفق الانساني المتصل بآخر ذلك الأُفق الحيواني مراتب الناس .....

من كل ما تقدم نستنتج ان الفاظ مذهب الاتصال او التطور التي استعملها ابن خلدون كانت مستعملة قبله ، فهو لم يخترعها اختراعاً وانما اقتبسها اقتباساً ، وقد يصعب علينا الوقوف على اول من اخترع هذه الأَلفاظ فان ذلك يقتضينا تتبع كتب الفلسفة كلها ، المطبوع منها والمخطوط ، وقد يجوز ان يكون في رسائل أخوان الصفا اشارة اليها ولسنا نريد بالاختراع وضعها وانما نريد الاصطلاح على معانيها كما اصطلحوا على معاني الأَلفاظ الاسلامية والفاظ النحو والصرف والشعر والعروض وغيرها .

وقد تكون صعوبة الاهتداء الى لفظ يدل على المعنى الحديث مثل صعوبة الاهتداء الى هذا المعنى ، فاذا نظرنا الى معنى الأُفق الذي استعمله ابن خلدون وابن مسكويه وجدنا هذا المعنى متسعاً فالأُفق في اللغة بالضم او بضمتين الناحية او ما ظهر من نواحي الفلك ، وهذا المعنى ضيق ولكن فلاسفة العرب لما نقلوه من معناه الضيق الى معناه الفلسفي وسّعوه كل التوسيع ، فالأُفق في مذهب الاتصال او «التطور» يشير الى نوع من انواع الجماد او النبات او الحيوان او الانسان مستعد للانفصال عن حال والاتصال بغيرها فالاهتداء الى هذا اللفظ ونقله من معنى الى معنى يستلزم كثيراً من البراعة .

واذا دققنا في الفاظ ابن خلدون في مذهب الاتصال تبين لنا انه استعمل

الفاظ غيره من الذين تقدموه ، من هذا النحو استعماله الترتيب ، وهو لفظ له شأنٍ في هذا المذهب وهذا اللفظ جرى كثيراً على قلم ابن مسكويه .

ان ابن خلدون على جلالة قدره لم يخترع مذهب الاتصال ولا وضع الفاظه ومصطلحاته ، فقد ثقف علوم العصور التي تقدمته فأدركها أتم ادراك وفهمها اكمل فهم ثم لخصها تلخيصاً يدل على فطنة ثاقبة وعقل راجح ، واستعمل الفاظ اهلها ومصطلحاتهم ، فهل نهتدي في علم العمران الذي وضعه الى الفاظ وتراكيب استعملت قبل ابن خلدون ، كما اهتدينا في مذهب الاتصال الى مثل هذه الألفاظ والتراكيب ؟

هذا موضوع مقال آخر .

شفيق جبري

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المواضع الأثرية في جزيرة العرب

موقع سوق عكاظ

هذه كلمة حاولت ان أوضح بها موقع سوق «عكاظ» ، مورداً أقوال متقدمي المؤرخين ، وواصفاً - على ضوء مشاهدتي - المكان الذي لا يخامرني شك في أنه هو موقع ذلك السوق ، ومحاولاً تطبيق تلك الأقوال على أوصاف ذلك المكان ، ومشيراً الى آراء متأخري الكتاب والأدباء ، اشارة قصدت بها اطلاع القارئ على مختلف الآراء في هذا الموضوع وان كانت تلك الآراء - في نظري - قد جانفت الصواب ، وخالفت الحق ، ولم أكلّف نفسي عناء مناقشتها ، أو بيان ما فيها من جَنَفٍ أو خَطَأٍ ، يظهران بمقارنتها بأقوال المتقدمين .

ا — أقوال متقدمي المؤرخين في تحديد موقع عكاظ

١ - قال محمد بن اسحاق (٠٠٠ — ١٥١ هـ)[1] : كانت مجنّة بمَرّ الظهران ؛ الى جبل يقال له الأصفر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف ؛ الى بلد يقال له الفتق ، وكان ذو المجاز ناحية عرفة الى جانبها .

٢ — وقال محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ — ٢٠٧)[2] : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمرّ الظهران .

---

(١) «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» نسخة خطية . في مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله بمكة (ص ٤٩٣ ج٢) . والكتاب تأليف ابي الطيب الفاسي المتوفى سنة ٨٣٤ .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .

٣ — وقال ابو عبيدة ؛ معمر بن المثنّى (١١٠ — ٢٠٩) : عكاظ [١] فيما بين نخلة والطائف ؛ الى موضع يقال له الفتق ، وبه أموال ونخل لثقيف ، بينه وبين الطائف عشرة أميال ٠

أقول : للطائف من مكة اربعة طرق : طريق يمرُّ بعرفات ، ثم بعقبة جبل كَرَّاء ، ثم بأعلى وادي قَرْن (وادي المَحْرَم) ثم بالطائف ، ومنه سلك رسول الله ﷺ في عودته من دعوة ثقيف الى الاسلام ، وهو أخصر الطرق وأوعرها ٠ والثاني : يمرّ بمنهل حُنَيْن (عين الشرائع) ثم يَتَّجِهُ مشرّقاً فيصعد عقبة دُجْنَى (وتصحّف في الكتب القديمة بِدُحْنَى — مُجْنَى) فوادي قَرْن ، فالطائف ٠ وكانت القوافل — ولا تزال — تأتي معه ٠ قال أحد شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري [٢] :

رأى صاحبي أثمار « وَجّ » فقال لي : تَرَى هذه الأثمار تسقط أم تُجْنَى؟
فقلت له : كُلْها هنيئاً فإنما أطايبها « تُجْنَى » وتأتيك من « دُجْنَى »

والطريق الثالث : يمر بالشرائع ، فوادي يَدْعان (جَدْعان في هذا العهد) فوادي سَبُوحَة ، فقرية الزّيمة ، فوادي نخلة اليمانية ، فقرن المنازل (السيل الكبير) فالمناقب (الرّبعان جمع رِيع) ثم ينحرف ذات اليمين الى الطائف ٠ وهذا هو الطريق الرئيسيّ في هذا العهد ، للسيارات والقوافل ٠ والرابع لا ينحرف بعد المناقب بل يَتَّجِهُ مشرقاً حتى يَجُوز الجبال ، ويدع جبال الطائف أيمنه ، فيمرّ بقرب عكاظ ، ثم يأتي الى الطائف من أسفله ٠ والمتقدمون الذين قالوا ان سوق عكاظ يقع بين نخلة والطائف ، قصدوا هذا الطريق ، ومنه سارت قريش حينما انهزمت في وقعات الفجار ، مارّة بنخلة ٠ وقد سلكه رسول الله

(١) معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ص ٦٦٠ طبعة باريس سنة ١٨٧٧ ٠
(٢) تاريخ الطائف للعجيمي مخطوط ٠

ﷺ في غزوة الطائف فمرّ بنخلة اليمانية ، فقرن المنازل ، فبطن المليح ، فبحْرة الرّغاء من وادي لِيّة ، فوادي نَخْب ، فالقَرْن الأسود ، فالطائف .

وقد حدّد الهمداني موقع الفتق فقال [1] : اذا استقبلت مكة وانت في الفتق وقع الطائف بينك وبين مغرب الشمس ، وقال : بين الفتق وبين المناقب اثنا عشر ميلاً ، وبين المناقب وبين قرن المنازل ستة أميال . وذكر ان الفتق قرية كانت لبني هلال فخربت . وذكر الأصبهاني في الأغاني (ج ١ ص ١٤٩ طبعة السامي) أن الفتق أسفل وادي العَرْج . ومعروف أن العَرْج شمال الطائف بميل قليل الشّرق .

٤ — وقال الأصمعي : (١٢٢ — ٢١٦) [2] : عكاظ نخل في وادٍ ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب ، بموضع يقال له الأُثَيْداء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجّون اليها .

٥ — وقال ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ تقريباً) [3] : كانت عكاظ في وسط ارض قيس عيلان .

٦ — وقال الأزرقي (المتوفى سنة ٢٤٤ تقريباً) [4] : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء ، في عمل الطائف ، على بريد منها ، وهي سوق لقيس عيلان وثقيف ، وأرضها لنصر .

٧ — وقال محمد بن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥) [5] : جهار

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني طبعة ملر في ليدن ص ١٨٧ و ١١٩ .
(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .
(٣) كتاب « التيجان » في ملوك حمير ص ٢١٠ طبعة حيدر آباد (الهند) .
(٤) كتاب تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٠ طبعة مكة .
(٥) كتاب المحبّر لمحمد بن حبيب ص ٣١٥ المطبوع في الهند .

[صَنَمٌ] لهوازن بعكاظ . وقال : عكاظ بأعلى نجد ، قريباً من عرفات . كذا ورد في كتاب « المحبَّر » ـ ص ٢٦٧ المطبوع في الهند ـ ولعله سقط من كتاب ابن حبيب هذا ؛ أو من أصله الذي نقل عنه ـ ان كان له أصل ـ كلمة (وذو المجاز) بعد كلمة نجد ، وإلاّ فأين أعلى نجد من عرفات ؟ ! ومن الغريب أن الذين جاؤا بعد ابن حبيب ونقلوا كلامه ، نقلوه بهذه الصورة ، كالمرزوقيّ في كتاب الأزمنة والأمكنة ، وابي عبيد البكري في كتاب معجم ما استعجم ، والحميريّ في كتاب الروض المعطار .

٨ — وقال عرام بن الأصبغ السلمي[1] : والفقا جبل لبني هلال ، حذاء عُنَنٍ .. وحذاؤه جبل آخر يُقال له بُسٌّ ، وفي أصله ماء يقال له بقعاء لبني هلال ، بئر كثيرة الماء ليس عليها زرع ، وحذاؤها اخرى يقال لها الخدود . وعكاظ منها على علوة . وعكاظ صحراء مستوية ليس فيها جبل ولا علم ؛ الا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وبها الدماء من دماء البدن كالأرجام العظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمريّين ، وخليص هذا رجل ، وهو ببلاد تُسَمَّى رُكْبَة .

٩ — وقال ابن واضح اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٩٢)[2] : سوق عكاظ بأعلى نجد ، تقوم في ذي القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب الا ان أكثرها مُضر .

١٠ — وقال الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤ تقريباً)[3] : ـ بعد ان أورد

---

(١) في كتاب « اسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه » نسخة خطية تقع في ١٨ صفحة لدى الشيخ محمد نصيف في جدة وقد نقل البكري وياقوت معظم هذا الكتاب في كتابيهما .

(٢) تاريخ اليعقوبي (ص ٢٢٧ طبعة العراق) .

(٣) صفة جزيرة العرب ، طبعة د. هـ. ملر في ليدن ، الصفحات ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ١٦٤ ، ٧١ . على التوالي .

قول عيسى بن احمد الرداعي في ارجوزته التي وصف بها طريق الحج من صنعاء الى مكة ، وقد أوْرَدْتُ من أبياتها موضع الشاهد :

يا ناق هم الشهر بانسلاخ فأزمعي بالجدّ لا التّراخي

عن ذي «طوى» ذي الحمض والسباخ قاربة للورد من «كلاخ»

مشفقة من زاجر كظّاظ مسهلة للخبت مِنْ «عُكاظ»

تاركةً «قُرّان» للمناقب و «شَرِباً» في جنح ليل واقب

قال الهمداني : عكاظ بمَعْكَدِ هوازن ، وهو سوق العرب القديمة . وهو لبني هلال اليوم ... قرّان وشرب مكانان من أرض عكاظ . وهذه المواضع من الجرداء . ويضرب على مشرق جميع هذه المواضع جبل الحضن ، من المحجّة على يوم وكسر . ثم ضرب الناس من قرّان وشرب ذات اليسار ؛ فعلوا رأس السراة وهو المناقب ، وانحدروا فيها ، وسقطتْ بهم على قَرْن الحَرّض ، وهو الذي وقّته النبي ﷺ لأهل نجد . وقال : وحَضَنُ عكاظ جبل ، وفيه يقول الأعشى : كخلقاء من هَضَبات الحَضَن .

وقال الراجز :

لما بدا شَعْف بأعلى السّي وحَضَنٌ مثلُ قَرَى الزّنْجيّ

وقال الهمداني ـ أيضاً ـ سراة الطائف غورها مكة ، ونَجْدُها ديار هوازن من عكاظ والفتق .

١١ — وقال ابو عبيد البكري (المتوفى سنة ٤٨٧)[١] : عكاظ بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة ، صحراء مستوية ، لا علم فيها ولا جبل ، الا ما كان من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها دماء الابل كالأرحاء العظام (في نسخة خطية : الأرحال) . وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً لمكة

(١) كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد ص ٦٦٠ – ٦٦٢ طبعة اوربة سنة ١٨٧٧ .

في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من ماءة يقال لها نقعاء (في الخطية بقعاء) بئر لا تنكف ... واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة وتركت عام خروج الحرورية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ إلى هلم جرا ... ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركبة ، بها عين تسمى عين خليص ، للعمريين ، وخليص رجل نسبت اليه . وذكر ابو عبيدة انه كان بعكاظ أربعة أيام؛ يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، ويوم شرب ، ويوم الحريرة ، وهي كلها من عكاظ ، فشمطة من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة ، بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار ، على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال له دخم ، فلم يقتل منهم أحد ، وقال خداش بن زهير :

فأبلغ ان مررت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا
بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين[1] إن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول ، من يوم شمطة ؛ بالعبلاء ، الى جنب عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة ، وقال خداش ابن زهير :

ألم يبلغكم انا جدعنا لدى العبلاء خندف بالقياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

فهو يوم العبلاء . ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نخلة ، بشرب ، وشرب من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد

(١) في النسخة الخطية (المجد) بدل (الدين) وكذا في معجم البلدان لياقوت (ج ٥ ص ٢٩٥) .

ابو سفيان وحَرْبٌ ابنا أميّة وابو سفيان بن حرب أنْفُسَهُمْ ، وقالوا : لا يبرح رجل منّا مكانه حتى نموت ، أو نظهر ، فسمّوا العنابسة ، وجعل بلعاء بن قيس يقاتل ويرتجز :

ان عكاظاً ماؤنا فخلّوه وذو المجاز بَعْدُ لَنْ تحلّوه

فانهزمت هوازن ، وقيس كلها ، إلا بني نصر ، فإنها صبرت مع ثقيف ، وذلك أن عكاظاً بلدهم ، ولهم فيه نخل وأموال ، فلم يغنوا شيئاً ، ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أميّة بن الأشكر الكناني :

الا سائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا
لدى «شرب» وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أبينا

ثم التقوا على رأس الحول ، بالحُرَيْرة ، وهي حرّةٌ الى جنب عكاظ ، مما يلي مهبّ جنوبها ، فكان لهوازن على قريش و كنانة وهو يوم الحريرة .

١٢ — وقال الشريف الادريسي (المتوفى سنة ٥٦٥)[١] : وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ، ومياه كثيرة ، ولها سوق ، يوماً في الجمعة (كذا) وذلك يوم الأحد يَقْصد اليها في ذلك اليوم بأنواع التجارات أهل تلك الناحية ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه ومكانه ، ومن سوق عكاظ الى مدينة نجران خمس مراحل .

١٣ — وقال ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦)[٢] : العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ . وقال : كلاخ ـ بالخاء المعجمة ـ موضع قرب عكاظ .

(١) كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للادريسي ورقة ١٠٢ ج ١ نسخة دار الكتب المصرية المصورة رقم ٢٦٣ جغرافية .

(٢) معجم البلدان « ج ٦ ص ١١٣ ، ج ٧ ص ٢٧١ » .

١٤ — وقال الحِمْيَرِيُّ مؤلف الروض المعطار [1] : عكاظ صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل ، إلا ما كان فيها من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد ، وقريب من عرفات (كذا) . وقيل هي وراء قرن المنازل بمرحلة في طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف ، وقيل هي على ثلاث مراحل من تبالة ، وسوق عكاظ قريةٌ كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة ، ولها سوق في يوم الجمعة ، يقصده الناس في ذلك اليوم بأنواع التجارات ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه .

١٥ — وقال الفيُّومي (المتوفى سنة ٧٧٠) [2] : عكاظ وزان غُراب ، سوق من أعظم اسواق الجاهلية ، وراء قرن المنازل بمرحلة ، من عمل الطائف ، على طريق اليمن . وقال ابو عبيد : هو صحراء مستوية ، لا جبل فيها ولا علم ، وهي بين نجد والطائف .

هذه جملة من أقوال المتقدمين الذين تعرضوا لتحديد « عكاظ » وهي على اختلاف عباراتها متقاربة في المعنى ، بل متطابقة من حيث الجملة ، وقد لا يوجد للمتقدمين من المؤرخين من الأقوال في تحديد سوق «عكاظ» ما يخالفها .

ب - خلاصة الأقوال المتقدمة

تتلخص تلك الأقوال بأن موقع سوق عكاظ :

١ — في أعلى نجد ، فليس في تهامة ، ولا في الحجاز ، ولذلك عدَّه

(١) الروض المعطار ، نسخة مكتبة عارف حكمت (شيخ الاسلام) المخطوطة في المدينة وقد وهم مؤلف كشف الظنون حينا ذكر ان الحميري هذا توفي سنة ٩٠٠ وقلّده بروكلمان ، والصحيح انه قبل هذا التاريخ ، اذ القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ ينقل عنه في صبح الأعشى . ولا يبعد ان يكون من أهل القرن السابع الهجري .

(٢) المصباح المنير ص ٤٩ ج ٢ طبعة بولاق .

ابن خُرْدَاذْبَه في كتاب المسالك[١] وابن رُسْتَه في «الأعلاق النفيسة»[٢] والبكري في «معجم ما استعجم[٣]» من مخاليف مكة النَّجْدية .

٢ – وانه في بلاد قيس عيلان من مضر ، ثم في بلاد بني نَصْر بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن قيس عيلان ، وبلاد منها من مواضع لا تزال معروفة بأسمائها القديمة ، مثل (رُكْبَة – بَسْل – لِيَّة ، وفيه هدم رسول الله ﷺ حصن[٤] مالك بن عوف رئيس تلك القبيلة – جلدان – بُسّ – قُرَّان – العقيق) ولا تزال بقية قبيلة بني نصر في مواضعها هذه ، فقبيلةُ «الجشمة» – وهم بنو جُشَم بن معاوية بن بكر – الذين منهم دريد بن الصمّة – منازلها الآن : قُران ، وعُشَيْرة – في بطن العقيق – . والعُصَمَةُ –[٥] وهم خُلطاء لأولئك منذ العهد الجاهلي – في أسفل وادي لِيَّة ، والنَّفَعَةُ – وهم من هوازن – في وادي كلاخ ، مجاورين لهؤلاء .

٣ – وانه يبعد عن الطائف مسافة اختلف المتقدمون في تقديرها بين عشرة أميال ، أو بريد (وهو ١٢ ميلاً) أو مسيرة يوم ، ولكن هذا الاختلاف ليس جوهرياً ، اذا لاحظنا أن الطائف لا يطلق على المدينة وحدها ، بل يشمل ما يجاورها من الأمكنة والقرى التابعة لها . وإذَنْ فتحديد المسافة في جميع تلك الأقوال صحيح .

٤ – وأنه على طريق اليمن من مكة بين المناقب وبين كلاخ – ولليمن الى مكة طريقان : تهاميٌّ ، يأخذ على الساحل ، وآخر يأخذ على أطراف السراة

(١) صفحة ١٣٣ طبع أوربة .
(٢) ص ١٨٤ طبع أوربة .
(٣) ص ١٩٥ طبع اوربة .
(٤) انظر في سيرة ابن هشام خبر هدمه في غزوة الطائف .
(٥) راجع كتب الأنساب ومادة «ع ص م» من تاج العروس .

ماراً ببلاد عسير ، وهو الذي يقع عكاظ فيه ، وقد وصفه عيسى بن احمد الرداعي ـ من أهل القرن الثالث الهجري وحدّد مراحله ، وعدّد مناهله ، وبيّن أعلامه في أرجوزته التي ساقها الهمداني في آخر كتابه « صفة جزيرة العرب » . وحدّد الهمداني في صفة الجزيرة (ص ١٨٧) مراحل هذا الطريق ، فقال ـ باختصار ـ : ومن بيشة بُعْطان الى تبالة ١١ ميلاً وهي من صنعاء على ٢٣ بريدا = ٢٨٦ ميلاً = وعرضها ١٨ درجة [١] وثلث وعُشُر ، ومنها الى القُرَيْحاء ٢٢ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة . ومنها الى كَرى [٢] ١٦ ميلا ، وعرض كرى ١٩ درجة وسدس وثلثا عشر . ومن كرى الى تُرَبة ١٥ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة وثلث وثمن درجة . ومنها الى الصَّفْن ٢٢ ميلاً ، وعرض الصَّفْن ١٩ درجة وثلثان وثمن . ومنها الى الفَتْق ٢٣ ميلاً ، وهي من صنعاء على ٣٠ بريداً = ٣٦٠ ميلاً = ؛ والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق الى المغرب ، وعرض الفتق ٢٠ درجة وعُشُر درجة » . ومنها الى رأس المناقب ١٣ ميلاً ، وهي منتهى الطريق وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب او الجنوب ، وعرض رأس المناقب ٢٠ درجة وربع وثُلُث عُشُر . ومن رأس المناقب الى قَرْن ـ ويسمى قرن المنازل ـ ستة أميال . انتهى . وقد يَعْدل هذا الطريق من الفتق فيتجه شمالاً نحو منهل غَمْرَة ، فذات عرق ، ميقات أهل العراق ، حيث يجتمع مع طريق العراق الى مكة . وتبلغ نهاية اتجاهه شمالاً في غمرة ، التي ذكر الهمداني (ص ١٨٥) أن عرضها ٢٢ درجة وأنها تبعد عن ذات عرق ٢١ ميلاً ، وان عرض ذات عرق ٢١ درجة وثلثا درجة . ويصف ابن رسته (ص ١٧٩) غمرة

(١) في النسخة المطبوعة عبّر عن الدرجة بكلمة (جُزء) ولكن في نسختي المخطوطة سنة ١٠٢٩ سماها « درجة » .

(٢) كرى واد عظيم معروف في هذا العهد بين تربة وبين وادي رَنْيه .

بأنها منزل خصب ، كثير الماء من البرك والآبار ، وقال : ومن هذا المنزل يحرم الحاج الا الجمالين فإنهم يحرمون من ذات عرق . وقال قدامة بن جعفر[١] : ومن الغمرة تعدل الى اليمن ، فمن الغمرة الى الجَدَد[٢] ١٢ ميلاً ، وهو موضع البريد ، ومنقسم القوافل ، وليس فيه الا بئر واحدة ، ونخل وزرع ، يستسقى لها بالابل ، وهي موضع بُشر مولى عثمان بن عفّان ، ومن الجدد[٢] الى الفتق ، ومن الفتق الى تَرَبَة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي .

وقد اقتصر الهمداني في كلامه المتقدم على ذكر محطات الطريق ، ولم يذكر غيرها من المواضع ، ولكن الرداعي أشار الى كثير منها في أرجوزته ، ولعل من المفيد ذكر الأبيات ، التي لها صلة بهذا البحث ، دون غيرها ، مع ايضاح الهمداني لها ـ قال ـ[٣] :

ثم انتجتْ بالسَّيْرِ منها المطنب الى « غُرابات » القُرَيْنِ الأنصب
ثم « الخُرَيْداءِ » بِـوَخْدٍ مُعْقِب ثم الى « ضَفْنٍ » رويِّ المشرب
ثم على « رُكْبَةَ » مَرَّ الأركب

الغُرَاب قرن مُنْتَصِب . والخريداء أرض واسعة ، وضَفْن منهل تأتيه الأعلاف من أمطار من ناحية الطائف :

قلت لها في مطلخم طاخ « بأوقح » ذي المنهل الوضّاخ
يا ناق همٌّ الشهر بانسلاخ فانتهضت بمشرف شمـاخ
عن « ذي طوى ذي » الحمض والسباخ قاربةً للورد من « كلاخ »

(١) « كتاب الخراج وصنعة الكتابة » المطبوع بعضه في ليدن سنة ١٣٠٦ مع كتاب المسالك لابن خرداذبة .

(٢) كذا والصواب (الحُدُد) بالحاء .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٦١ وما بعدها .

أوقح منهل على واد عذب الماء ، وقيل لعليل من أهل صنعاء ـ وهو في منزله ـ : ماذا تشتهي ؟ قال : شربة من ماء أوقح [1] . وكلاخ وادٍ ماؤه ثقيل ملح . وكل هذه البلاد من تبالة الى نخلة ديار هوازن ؛ فيها من كل بطونها .

يا هندُ لو أبصرت عن عيانْ قلائصا يُوضِعْنَ في « جَلْدان »
بالقوم من يقظان او وسنانْ علمت مَن ذو الفضل في الركبان

جلدان موضع قاع .

اذا انتحى القوم على الحُوص العُنُقْ عن «ذات أصداء» سنا في «الفُتُق»
أقولـــ للبارق وهنًا إذ بَرَقْ هيّجت أشجاناً لذي شوق عاق

فقلت لمـا ثاب لي احتفاظي سل الهوى عن قلبك المغتاظ
والعيس تطوي الأرض بالمظاظ مسهلة للخبت من «عكاظ»

فانجردت بالرُّفقِ العصائبِ عِيديّةٌ مفعمة المناكب
تاركةً «قَرّان» «للمناقب» بحيثُ خطّ الميلَ كفُّ الكاتب
و « شَرِباً » في جنح ليل واقِب

حتى اذا أدْنى الركاب مُدْني استبدلت بالخوف دار الأمن
وجاءت الميقات « وادي «قَرْن» ومسجداً حُفَّ بزيّ الحسن

بقَرْنٍ مسجد النبي ﷺ وبئره ، وهو واد ونخل وحصون ، وهو على رأس البوباة .

ثم استطفّوا فوق يعملات مفضين بالسّير الى «البوبات»

---

(١) أوقح لا يزال معروفاً باسمه وهو في بلاد بَالْحارث في هذا العهد ويقع من كلاخ مطلع الشمس ، ويبعد عنه مسيرة نصف نهار للابل .

البوبات[1] أرض منقلبة الى وادي نخلة ومصعدها الى قرن كثيب لا تكاد تعدوه الروايا والأنضاء .

ثم اعتزمن العيس بالتصميم عوائداً للمسجد المعلوم
قواصداً «للكفو» «فاليسوم»[2] الى بريد الصخرة المعلوم

المسجد المعلوم مسجد ابراهيم عليه السلام الى رأس وادي نخلة ، ينزل الناس فيصلون فيه ويدعون ، والكفو واليسوم جبلان بنخلة .

لضيعة الطلحي مستقيمه صادرة عنها تؤم «الزيمه»
ثم على «سبوحة» القديمة إلى «أريك» تعتلي صميمه

ضيعة الطلحي من قريش نخل قديمات . الزيمة موضع فيه بستان ابن عبيد الله الهاشمي ، وكان في أيام المقتدر على غاية من العمارة ، وكان يغل خمسة آلاف دينار مثقال ، وفيه حصن للمقاتلة مبني بالصخر ، ويحميه بنو سعد ... وعدد جذوعه ألوف ، وفيه غيل مستخرج من وادي نخلة ، غزير ، يفضي الى فوارة في وسط الحائط ، تحت حنيفة ، ثم الى مأجل كبير ، وفيه الموز والحناء وأنواع من البقول ، وسبوحة[3] موضع ، وأريك عقبة تضاف الى المكان فيقال عقبة أريك بضم الألف ... والطريق حينئذ من رأس المناقب الى مكة ما بين المغرب والجنوب ، ثم تكون الشمس عاشياً على صدغك الأيمن .

ثم انتحت وخداً على انكماش «بئر الجذامي» باحتياش
الى «حنين» المنهل الجياش حتى اذا أفضت الى «المشاش»
عجّت بتحنان لشوق غاشي

---

(١) البوبات تعرف الآن باسم «البهيتة» .

(٢) يقال لها «اليسومان» من باب التغليب ويحرّف اسمها الآن «السّومان» . قال الراجز :

يا ناق سيري قد بدا يسومان فاطويها تبدو قنان «غزوان»

(٣) سبوحة معروفة باسمها في هذا العهد ، واد فيه مزارع على المطر .

آبار الجذامي : بئر معمورة ، والجذامي من أهل مكة . وحنين هو الذي كانت فيه وقعة حنين بين النبي ﷺ وهوازن . والمشاش : موضع تلتقي فيه محجة اليمن ونجد . ومحجة العراق والبحرين . انتهى ملخصاً .

٥ – وانه يقع في صحراء مستوية ، خالية من الأعلام والجبال ؛ سوى صخرات كبار ، وحُرَيرة في مهبّ الجنوب منه .

٦ – وانه متصل بأرض رُكبة – ويقع جبل حَضَن في مشرقة مسيرة يوم وكَسْر ، ويقع وادي قَرْنان في مغربه ، بقربه .

٧ – وأن من أوديته وادي « شَرِب » .

ج – أين موقع سوق عكاظ ؟

ان جميع الاوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقاً تامًا على الأرض الواسعة ، الواقعة شرق الطائف – بميل نحو الشمال – خارج سلسلة الجبال المطيفة به ، وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة (٣٥ كيلو متراً تقريباً – ومسيرة ليلة للابل) . ويحدها غرباً ، جبال بلاد عدوان (الخُضَيراء – شِرْب العقرب [١]) وجنوباً : جبال أسفل وادي لِيّة ، وابرق العُبَيْلاء ، وضلع الخَلَص ، وشرقاً : صحراء رُكْبة – وفي أقصاها جبل حضن – وشمالاً : طرف رُكْبة – وهو من عكاظ – والجبال الواقعة شرق وادي قرّان . وتشمل هذه الأرض وادي الأُخيضر (وهو المعروف قديمًا باسم وادي عكاظ) ووادي شرب ؛ حينما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الأرض ، وما اتصل بهما من طرف ركبة الشمالي الغربيّ .

---

(١) هذه القرى الثلاث سكانها قبيلة عدوان .

د ـ المواضع التي بقرب عكاظ

ذكر المتقدمون مواضع كثيرة ، يستدل بها على موقع سوق عكاظ ، منها ما هو معروف في هذا العهد باسمه القديم ، ومنها ما هو مجهول ، فمن المواضع المعروفة :

١ ـ بُسٌّ : وهو جبل أسود (طرف من الحرّة) مشرفٌ على منهل عشيرة ، التي هي المحطة الأولى بعد قرن المنازل ، للذاهب الى نجد ، ويقع هذا الجبل شمال موقع عكاظ ، بمسافة لا تزيد على مسيرة نهار للإبل .

٢ ـ جلدان : وهي أرض سهلة واسعة ، تقع بين وادي ليّة ، ووادي بَسْل ، وفيه هضبة سوداء تسمى «بَنَيْعة» نقل ياقوت عن الأصمعي [١] أن بها نُقُباً ، كل نَقْب قَدْر صاعة ، كان يلتقط بها السيوف العادية والخرز ويزعمون ان فيها قبوراً لعاد ، وكان يعظمون ذلك الجبل . وتسمى هذه الهضبة في عهدنا الحَلاة ـ حَلاةُ جَلْدان ـ ومن كلام بدو تلك الناحية : مَنْ ملك نَزْهان بن نَزْهان ، وأتانةً وأتان ، وخمسين من الضّان ، ومَرْعى في جنب حلاة جلدان ، فهو سلطانٌ ما عليه سلطان ، أي من ملك كلباً أصيلاً ، وحمارين ذكراً وأنثى ، وخمسين شاة يرعاها في ذلك الموضع فقد بلغ الغاية في العزّ .

٣ ـ حَضَن : وهو الجبل المعروف الذي ورد فيه المثل : «من رأى حضناً فقد أنجد» . ويقع شرقي موضع عكاظ ، ويشاهد منه عن بُعد ، مسيرة يوم للإبل .

٤ ـ رُكْبَة : وهي فلاةٌ واسعة تبلغ مسيرة أيام للإبل ، وعكاظ في طرفها الغربي الجنوبيّ ، متصل بها .

---

(١) معجم البلدان (ج ٢ ص ٣٦٣) وقد نسب صاحب التاج هذا الكلام الى البكري ، ولكنه لا يوجد في معجمه المطبوع .

٥ – شَرِب : وهو واد عظيم ، أعلاه وادي العقيق الواقع غرب الطائف وشماله ، ثم ينحدر مارًّا بمزارع القَيْنم وأمّ الحَمْض والقُدَيْرة ، ثم يلتقي به وادي الحَوِيّة من الغرب ، ثم يمرّ بقرية «شِرْب» أسفل الحَوِيّة ، بينهما ميل واحد ، ثم يجوز السلسلة الجبلية ويفضي الى الأرض البراح ، فَتَشَمُّ عكاظ ، حتى تنتهي الى وادي الأخيضر في طرف ركبة . وقد يطلق على سوق عكاظ اسم شرب كما في قول الكميت [1] :

وفي الحنيفـــة فاسأل عن مكانهم

بالموقِفَيْن ، ومُلْتَقَى الرَّحْل من شَرَبِ

٦ – العبلاء [2] : قرية ذكر الهمداني أنها خربت ، وتقع بقرب العُبَيْلاء ، قرية عدوان المعروفة ، وتقع جنوب عكاظ .

٧ – عُنّ : جبل يقع بين المتجه نحو تَرَبَة ، ويشاهد على مسافة بعيدة من طرف ركبة الجنوبي ، ويقع جنوب عكاظ ، يميل الى الشرق . وفي هذا الجبل وَشَلٌ يرده بعض المسافرين .

٨ – قُرّان : واد ينحدر من الأرض الواقعة بين الحوية وبين السيل الصغير وما حولها ، حتى يجتمع بوادي العَقِيق الكبير ، الذي هو أعظم الاعقّة وأطولها . ويقع وادي قُرّان غرب عكاظ ، يفصل بينهما آكامٌ تمتد من الجنوب الى الشمال ، وقد عدّ الهمداني قُرّان من أرض عكاظ ، والظاهر أنه خارج عنها ، وفي العقيق يقول الصمة الجشمي [3] – ابو دريد – في حرب الفجار التي وقعت في عكاظ :

---

(١) معجم البكري ص ٩ ٨ .

(٢) في ترجمة ابن الدمينة من كتاب « الأغاني » انه كان ينشد شعره في سوق العبلاء .

(٣) كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٧٦٩ .

ولاقت قريش غداة «العقيـ ق» أمراً لها وجدته وبيلا
وجئنـا اليهم كموج الأتيّ — بعلو النجاد وبملا السبيلا

و «العقيق» و «قرّان» مجاوران لعكاظ من الجهة الغربية الشمالية .

٩ — كلاخ : قرية فيها مزارع ، أسفل وادي بَسْل ، وتقع جنوب عكاظ بميل الى الشرق .

المواضع المجهولة :

١ — الأُثيداء : ذكر الأصمعي أن سوق عكاظ يقام في هذا الموضع ، وهو غير معروف في هذا العهد .

٢ — بقماء : يفهم من كلام عرّام انها في أصل بُسٍّ ، انها بئر عُشَيْرة القديمة أو بقربها ، اذ هي في أصل بُسّ .

٣ — جبجب — نقل البكري عن ابن الأعرابي أن جُبْجُباً من عكاظ .

٤ — الحُرَيْرة : تصغير حرّة ـ يدلُّ كلام المتقدمين أنها هي المعروفة في هذا العهد بضِلَع الخَلَص ، وهو جُبَيْلٌ أسود صغير ، يقع في الجنوب بميل قليل نحو الشرق من موقع عكاظ . وان لم تكن هو فهي مجهولة .

٥ — الخُدُود ـ أو الخُدَد ـ : يفهم من كلام ياقوت والزبيدي ، وقبلهما قدامة الكاتب وقد تقدم كلامه ـ أنها تقع شمال موقع عكاظ ، فيما بينه وبين منهل عُشَيْرة .

٦ — دَخْم : الجبل الذي لجأت اليه بنو كنانة ، يوم شمطة فسلموا ـ لا يبعد ان يكون الجبل المسمى بالصالح ، بقرب قرية «العقرب» لعدوان ، ويسمونه الصالح لاعتقادهم بأن رجلاً صالحاً قبر فيه ، وهم يعظمون ذلك الجبل في العهد الماضي . ويقع بقرب عكاظ في الجهة الغربية .

٧ — شمطَة : موضع في عكاظ غير معروف .

٨ — عَيْن خُلَيْص : غير معروفة ، ولعلها كانت بقرب ضلع الخَلَص ، جنوب عكاظ .

٩ — الفتق : بلد قد اندرس كما ذكر ذلك الهمداني ، ويفهم من كلام المتقدمين انه جنوب عكاظ بينه وبين العَرْج .

١٠ — القَفَا : جبل يفهم من كلام عرام انه أحد الجبال المجاورة لجبل عُنّ . وهو غير معروف . وأورد عرّام فيه هذا البيت :

وقالوا خرجنا مِ القفا وجَنُوبه وعنّ ، فهمّ القلبُ أن يتصدّعا

هـ — سكان هذه النواحي

أشار المتقدمون الى أن هذه الجهات ، من منازل هوازن ، ثم صارت لبني هلال ، والظاهر ان بني هلال حلّوها وقت انتشارهم وقوّتهم ، في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك الى مصر ، ثم الى بلاد المغرب عاد سكانها الأصليون اليها ، ولا يزالون بها . فمن سكانها :

١ — الجُشَمَة : واحدهم جُشَامِيٌّ ـ وقد يقال : جشاميّ ـ وهم بنوجُشَم بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، و « الجثمة » تحريف « الجشمة » بالشين ، لتقارب الحرفين في بعض صفات النطق . وتسكن هذه القبيلة في وادي « قرّان » ووادي « العقيق » وفي السَّيْل الصغير .

٢ — عَدْوان : القبيلة القديمة التي منها حكيم العرب ، عامر بن الضرب ، ومنها ذو الاصبع الشاعر ، وتسكن في وادي « شرب » وفي قرية « العَقْرب » وهي قرية على ضفة وادي الأخيضر في أعلاه فيها نخل ، وفيها عين أوشكت أن تغور . وفي قرية « العبيلاء » .

٣ — العُصَمَة : وهم خلطاء ابني جُشَم وهم منهم ، كما في المقتضب وغيره من كتب النسب ـ ويسكنون أسفل وادي لِيّة ، في وادٍ يسمى باسمهم .

و — آراء المتأخرين في تحديد موضع عكاظ

١ — رأي الأستاذ خير الدين الزركلي :

قال في رحلته « ما رأيت وما سمعت » : وعلى ذكر السيل أو اليمانية ، لا أرى أن تفوتني الاشارة الى أشهر سوق من أسواق العرب ، أعني سوق عكاظ ، لوقوعها في تلك الطريق ، على مرحلتين من مكة للذاهب الى الطائف عن طريق السيل ، يميل قاصد عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحو نصف ساعة ، فاذا هو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب ، يسمونها « القانس » بالكاف المعقودة ، وهي موضع سوق عكاظ ـ الى ان قال ـ والواقف في القانس أو عكاظ يرى على مقربة منه موضعين مرتفعين ؛ أحدهما يسمى الدِّمَّة بكسر ففتح ، والآخر البهيتة ، بصيغة التصغير ، وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق الذي يمرُّ بها سالكو درب « السيل » اليمانية ـ ثم قال الأستاذ بعد ايراده لكلام ياقوت في المعجم ـ وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون ان عكاظاً كان في مكان يعرف اليوم باسم « القهاوي » في وادي لِيَّة من الطائف ، غير ان الشيوعَ يؤيد ما قلناه آنفاً من انه القانس نفسه ، وعليه اكثر العارفين ، من أهل هذه الديار .

٢ — رأي الامير شكيب أرسلان ـ رحمه الله تعالى ـ :

قال ـ بعد أن أورد كلام الأستاذ الزركلي المتقدم ـ « في الارتسامات اللطاف » ص ١١٠ ـ : أفلا يحتمل أن يكونوا أقاموا السوق مرة في القانس ، ومرّة في المكان المسمى اليوم بالقهاوي ؟ على أن قول الأخ الزركلي ان القهاوي هي في وادي لِيَّة فيه نظر ، لأن القهاوي ليست في وادي لِيَّة ، ولا وادي لِيَّة هو قريب من هناك . وقال ـ ص ١١٧ ـ : إن المسافة من

المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ الى مدينة الطائف هي نحو من ساعة بسير الكهرباء .

٣ — رأي الأستاذ عبد الله فلبي :

قال الدكتور حسين هيكل باشا في كتاب «منزل الوحي» ص ٣٨٠ ـ : أما المستر فلبي فيرجح السيل الصغير موقعاً لعكاظ ، وقد وضعها على خريطته في مكان هذا السيل .

٤ — رأي الدكتور حسين هيكل باشا :

قال في «منزل الوحي» ص ٣٨١ ـ : انفرجت الجبال عن السيل الكبير ، فتخطت السيارة اليه ... واستدرنا بالسيارة فيما وراء الجبل ، ثم اعتدلنا نقطع بطناً من الأرض ... ووقفنا في موضع يقال له «الحُرّ» من واد يقال له «غَسَلَة» وراء جبل يسمى «دما» وهبطنا من السيارة ، وسرنا خطوات ، ثم وقفنا عند آثار بناء في تخوم الأرض ، مستوية مع سطحها ، يدل وجودها على وجود عمارة قديمة في المكان ، تتألف من ثماني غرف حسنة البناء ، ليست في شيء من منازل البدو . قال صاحبي ، بعد ان زرنا هذه الآثار : أشهد أني أميل الى ترجيح قيام عكاظ بهذا المكان ، وأحسب هذه الغرف الفسيحة كانت مقام سادة السوق ، قلت : لعلك لم تبالغ اذ رجّحت ـ ثم وصف الدكتور البناء وقال ـ انه يرجّح عندي قيام عكاظ بهذا المكان ، وان لم يُقِم سنداً علمياً على هذا الترجيح ـ انتهى باختصار .

وهذه الآراء تدور حول موضعين : السيل الكبير ، المعروف قديماً بقرن المنازل ، في رأي الأستاذ الزركلي والدكتور محمد حسين هيكل ، والسيل الصغير ، الواقع بين الطائف وبين السيل الكبير ـ على مسافة تقرب من ثلاثين كيلو متراً من الطائف ـ في رأي المستر فلبي . وقد أغرب الأمير شكيب

ـ رحمه الله ـ حينما حاول الجمع بين القولين بقوله بامكان اقامة السوق في الموضعين ، مرةً هنا ، ومرةً هناك !

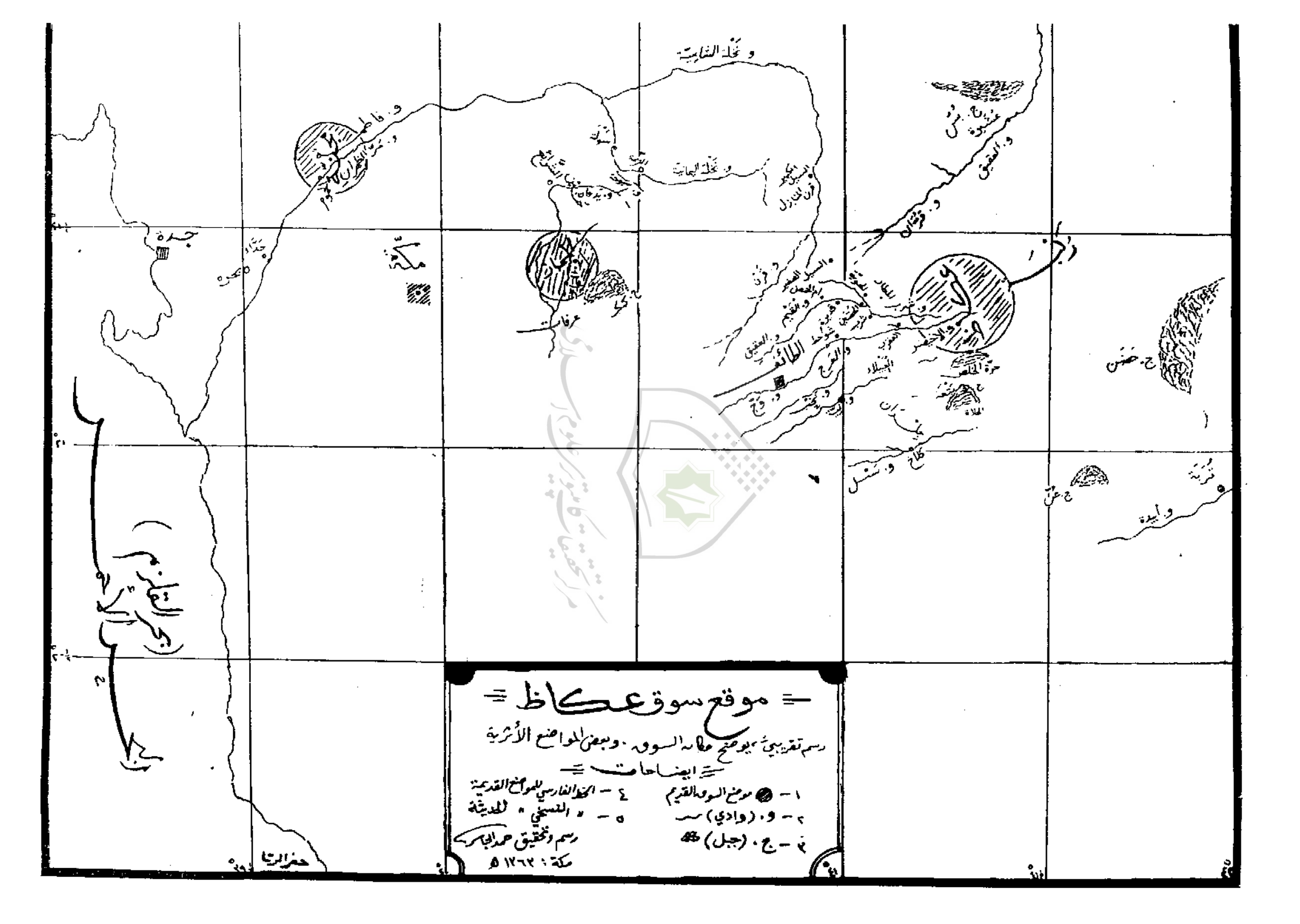
الخاتمة

هذه آراء بعض مشاهير متأخري الكتاب ، وتلك أقوال بعض متقدمي المؤرخين ـ من القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن ـ وللباحث أن يدرسها وأن يقارن بينها ، لتظهر له الحقيقة ، وليرى أي الآراء أصوب ، وأي الأقوال أكثر انطباقاً ، وأوضح دلالة ، في تحديد ذلك الموضع التاريخي «عكاظ» .

وقد رسمتُ هذا البحث رسماً مقرباً ، أوضحت فيه موقع عكاظ ـ في رأيي ـ وبيّنتُ بعض الأمكنة التي لا تزال معروفة بأسمائها في هذا العهد .

(الرياض) حمد الجاسر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى



موقع سوق عكاظ
رسم تقريبي يوضح مكان السوق، وبعض المواضع الأثرية
ايضاحات
١ - موضع السوق القديم
٢ - و. (وادي)
٣ - ج. (جبل)
٤ - الخط الفارسي للمواضع القديمة
٥ - « النسخي « الحديثة
رسم وتحقيق حمد الجاسر
مكة: ١٣٦٢ هـ
البحر الأحمر
(بحر القلزم)
جدة
مكة
عرفات
الطائف
و. العقيق
و. قرن
ج. حضن
و. نخلة الشامية
و. نخلة اليمانية

إقالةُ عثرةٍ من عَثَرات الأقلام (١)

أو

بحثٌ طريفٌ في (أيّ) الشرطية

عددت من (عثرات أقلام) الصحافيين قولهم (لم يصدر عني أيّ تصريح) فقلت إن (أي) لها معان واستعمالات عدة ٠ سردها صاحب (المغني) ٠ واستعمال الكتّاب لها في مثل الجملة المذكورة ليس من تلك الاستعمالات في شيء ٠ والأفصح أن يستعاض عن (أي) في مثل تلك الجملة بحرف (ما) التي تفيد المبالغة في الإبهام والتنكير : فيقال (لم يصدر عني تصريحٌ ما) ٠

على أنه اذا دقّق المرء النظر في مثل هذا التركيب وهو قوله : (لم يصدر عني أيُّ تصريح) وطريقةِ إرجاعه الى قواعد النحاة ـ وجده مختصراً أو منحوتا من كلامٍ أطول منه ٠ وكأنَّ الكتاب العصريين إنما عالجوا طوله بطريقة الاختزال المستعملة في هذا الزمن :

(أيّ) في التركيب المذكور لا يُمكن أن تكون استفهاميةً ولا اسمَ موصول ولا للدلالة على الكمال (زيدٌ رجلٌ أيُّ رجل) ولا وصلةً لنداء الاسم المحلّى بأل (يا أيُّها الرجل) بقي من المعاني الخمسة التي ذكرها (المُغني) (أيّ) الشرطية الجازمة ٠ وبعد التأمل وجدت أنه يمكن ارجاع (أي) في مثل قولهم (لم يصدر عني أيُّ تصريح) الى (أي) الشرطيّة هذه . ويمثّلون

---

(١) إحدى محاضرات الأستاذ المغربي التي ألقاها في مجمع فؤاد الأول اللغوي المصري في جلسته المنعقدة في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥١ م ويتلوها ما قاله اعضاء المجمع في موضوعها .

لها بقولهم : (أيًا تفعلْ أفعلْ) : فأيٌّ الشرطية تتركب جملتها من فعلين يأتيان بعدها ، مجزومين بها ، وهي منصوبةٌ بفعل الشرط الذي بعدها ، ولها الصدارة في جملتها ، فأصل (أيًا تفعل أفعل) : (تفعل أيًا أنت أفعله أنا) والتنوين في (أيًا) عوض عن محذوف استُغني عنه بدلالة المقام : تقديره (أيَّ شيءٍ تفعلْ أفعلْ) ويُلحقون بأي هذه حرف (ما) فيقولون : أيًا ما تفعل أفعل ، وقال شراح الألفية إن (ما) هذه صلة (أي زائدة) لتأكيد الإبهام في (أي) ويريدون بالابهام التنكير ، ويجوز التصريح بالمضاف اليه المحذوف ، فتقول مثلاً : (ايَّ طعامٍ تأكلْ آكل) واذ كان (طعام) نكرة مستغرقة لجميع أنواع الأطعمة جاز ان يكون المضاف اليه جمعًا فتقول : أيَّ أطعمةٍ تأكلْ آكل ، وأيَّ لحوم تأكلْ آكل ، وقد يُعرَّف المضاف اليه بأل الدالة على الجنس أو الاستغراق ، فتقول : أيَّ الأطعمةِ وأيَّ اللحوم ، وانما جاز ذلك لوجود الابهام والتنكير في الأطعمة واللحوم ، حتى لو قلتَ أيَّ اللحمين ـ لحم سمكٍ أو لحم طير ـ تأكلْ آكل جاز أيضًا : لأن التثنية أو الاثنينية لا تمنع التردُّد والابهام في المأكول ما دام غيرَ معين بذاته : إذ أن (ال) في اللحمين للعهد الذهني المُفيد للتنكير ، على حدّ ماذكره النُحاة في مثالهم المشهور : (انزلْ السوق واشترِ اللحم) وكما يُحذف المضاف اليه اختصاراً فيقال (أيًا تأكلْ آكلْ) يحذف جواب الشرط ، ففي آية (أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) تقديره أيَّ اسم تسمّوا الله به فهو حسن : فقولنا (فهو حسن) جوابُ الشرط حذف ودل عليه قوله تعالى : « فله الأسماء الحسنى » ، ومثله آية (أيَّ الأجلَيْنِ ما قضيتَ فلا عُدوان عليّ) وهي قراءة ذكَرَها البيضاوي ، وقال إن (ما) الواقعة بعد(الأجلين) مزيدةٌ لتأكيد الفعل ، والقراءة المشهورة (أيّما الأجلين قضيتَ) وجواب (أي) في هذه

الآية محذوف قدَّره البيضاوي بقوله (أيَّ الأجلين قضيتَ وفيتك إياه) وقد دل على ذلك المحذوف المقدّر قوله تعالى (فلا عدوان عليّ) أي لا يُعتدى عليّ بطلب الزيادة . ومن هذا القبيل قولُ أبي الطيب المتنبي في فرسه .

(وأصرعُ أيَّ الوحشِ قفّيتُه به وأنزِلُ عنه مثله حين أركبُ)

(أيّ الوحش) شرطية وقفّيته به (أي أتبعته به) فعل الشرط . وجوابه محذوف والتقدير : أيّ الوحش أتبعتُه به أصرعْه . فحَذَفَ جواب الشرط وهو (أصرعه) وأقام دليلاً عليه قولَه (أصرع) الواقعة قبل (أيّ) . وبذلك أفقدها حقّها من الصدارة أو يقال إن ضرورة الشعر جوّزت له ذلك .

وما قلناه في بيت أبي الطيب نقوله في بيت أبي تمام :

(هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله)

يؤول بقولنا : أيّ النواحي تأته منها تجده أو تلقه بحراً . وقد حذف جواب الشرط لدلالة قوله في صدر البيت (هو البحر) عليه وأقام مقامه قوله (فلجته المعروف الخ) والإتيان بالفاء زاد الدلالة دلالة .

تحصل معنا أن جوابَ (أيّ) أعني جواب الشرط يُحذف اختصاراً . وهل يُحذف فعلُ الشرط نفسُه يا ترى ؟ لمْ أظفر له بمثال في كلام فصيح . وهل يُحذفان معاً : أي فعل الشرط وجوابه ؟؟ لم أظفر له بمثال أيضاً . ولكن ما ذكرته آنفاً من الحذوف والاختزالات التي تقع في تراكيب (أيّ) الشرطية يُمهد لي سبيل الجرأة الى القول بأن ما أنكرته على الصحافيين والكتّاب المعاصرين من قولهم: (لم يصدر عني أيُّ تصريح) هو صحيح على تأويل جعل (أي) شرطية حُذف جوابها لدلالة المقام عليه وحُذف فعلها الشرطي نفسه أيضاً لدلالة قوله (لم يصدر) الواقع قبلها . ويكون أصل تركيب الجملة هكذا : (أيّ تصريحٍ نسبوه إليّ لم يصدر عني) أو فهو باطل . أو فهو مختلَق ونحو ذلك : (أيُّ) شرطية

جازمة و (نسبوه إليّ) فعل الشرط حُذف لدلالة السياق عليه و (لم يصدر عني) جواب الشرط حُذف أيضاً لدلالة قوله قبله (لم يصدر عني) عليه كما دل قول المتنبي (وأصرعُ) على (اصرعْه) الواقع جواباً للشرط في شعره السابق وهو

(وأصرعُ أيَّ الوحش قفّيته به وأنزل عنه مثله حين أركب)

هذا ما عندي أيها السادة في تأويل قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) وهو كما ترون اختزال عجيب : هُدي اليه الصحافيّون والكتّاب الذين تأثّروا بهم بطول ممارستهم للكتابة . واضطرارهم الى السرعة فيها . وليس في هذا الاختزال ما ينافي قواعدَ النحاة سوى سلب (أيّ) حقها في الصدارة . وربما كان المتنبي في قوله (وأصرعُ أيَّ الوحش) هو الذي جرّأ الصحفيين على مثل صنيعه واختزاله . وتكون هذه الجملة أي (أيّ تصريح) في اختزالها على نَمَط ما ورد في كلام العرب من الجُمل المختزلة أمثال (أيضاً) (فصاعداً) (وهلم جرّا) فان أصلها جمل ثم اختزلت .

وبناء على هذا إذا كَتَبَ احد الصحافيين في صحيفةٍ له قوله (ولم تُنشر أيّةُ تفاصيل عن محتوياتِ مذكّرة وزير خارجية انكلترا) ثم سُئل عن صحة هذا التعبير . كان له أن يجيب بأن (أيّة) شرطية جازمة لشرطها وجوابها وقد حذف فعل الشرط لدلالة السياق عليه كما حذف جواب الشرط أيضاً لدلالة قوله قبله (ولم تُنشر) ويكون أصل الجملة هكذا : أيّة تفاصيل يزعموا نشرها لم تُنشر .

مثال آخر : كنتُ قلتُ في بعض ما كتبتُه قديماً (وليدعوا الاستغاثةَ بالبشر . أو أيّةَ قوةٍ أخرى من القُوى والقُدَر) فيقال في تأويله (أو أيّة قوةٍ يستغيثوا بها يدعوها) .

وقال زميلنا الأستاذ ابراهيم مصطفى بك في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر المجمع

(بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٠) وجعل عنوانها في أصول النحو - ما نصه (لم نجد في كتاب سيبويه أيَّ رأيٍ نحوي منسوب الى أبي الأسود الدؤلي) تأويله (أيَّ رأيٍ ينسبوه إلى أبي الأسود لم نجده) وهكذا نؤول ما جاء في مصطلحات القانون الدولي التي أقرها المجمع بالأمس مذ عرَّف لفظ (الوفاق) (Accord) فقال : (هو اصطلاح يُطلق على مختلف الاصطلاحات الدولية في أيّة صورةٍ كانت) وقوله أيضاً في تعريف (التوفيق) Conciliation (ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون لأيّةٍ من الدولتين المتنازعتين) .

وهذا الصنيع في اختزال جملة (لم يصدر عني أيُّ تصريح) والإلحاح عليها بالحذف والبتر حتى لم يبق منها سوى أداة الشرط - إن كان يُرضي أتباع النحاة المتسامحين من الصحفيين - فاني لا إخاله يُرضي أتباع الجاحظ من بلغاء الزمان وحُماة لغة القرآن ، الذين اذا نطقوا جملة (ولم تنشر أية تفاصيل عن محتويات المذكرة) اكتفوا بقولهم (ولم تنشر تفاصيل عن المذكرة) بحذف (أية) . وإذا أرادوا فضل تأكيد قالوا (لم يُنشر تفصيلٌ ما عن المذكرة) بزيادة (ما) التي تفيد المبالغة في الإبهام والتنكير فيستغنون بها عن (أي) مرةً واحدة .

انتهى أيها الاخوان ما تجرأت على إلقائه على مسامعكم من هـذا الموضوع الذي أرجو أن تنظروا اليه بعين الاهتمام والسلام .

المغربي

وقد اطلع على هذا البحث زميلنا العلامة الفاضل الأستاذ ابراهيم مصطفى بك فكتب بخطه ما يلي : ١٨ يناير سنة ١٩٥٠ .

قرأتُ هذا البحث الدقيق القيِّم الواسع المحيط :

وأرى تخريج استعمال «أي» في مثل قولهم (لم يصدر مني أي تصريح) على أنها صفة لنكرة محذوفة أي لم يصدر تصريحٌ أيّ تصريح ، ثم حذف الموصوف لفهمه ولتكرار لفظه .

وفي كتاب (ارتشاف الضَرَب) في باب الموصول مانصه :

«أي صفة لنكرة مذكورة نحو (مررت برجل أي رجل) فلا يكون الا نكرة . وقد جاء حذف موصوفها في قول الشاعر :

(اذا حارب الحجاج أيّ منافق) يريد (أي الشاعر) منافقاً أيّ منافق

وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف موصوفها هكذا . وهذا عن أصحابنا في غاية الندور . وقالوا : فارقتْ (أيّ) سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف موصوفها واقامتها مقامه لا تقول مررتُ بأيّ رجل) . اهـ بنصه

والارتشاف موجز جداً وتفصيله في (التذييل والتجميل بشرح التسهيل) لنفس المؤلف . ومن هذا نرى أن لبعض الاستعمالات أجلًا وإبّانا تكثُر ثم تندر . وقد تندُر ثم تكثر : كما ندر هذا الأسلوب عند المتقدمين حتى أنكره بعضهم . ثم شاع وألف حتى جرت به الأقلام بغير استنكار وحتى أبَى استنكاره بعضُ الكتّاب . وغضب ان يرد عليه .

حاشية :

(١) أعود فأقول إن سبب استنكار النُحاة حذفَ موصوف (أي) انهم قصروها على إفادة معنى الكمال في الموصوف وهو موضع تقتضي المبالغة فيه بذكر الموصوف – أما غيرهم فرأوا فيها أيضاً معنى الابها الذي يدل على كمال الدعوى لا كمال الموصوف . والله أعلم .

(٢) وفي الارتشاف أيضاً في نفس الباب :

« ولا تقع أي نكرة موصوفة فلا يجوز مررتُ بأيٍ معجبٍ لك وأجازه الأخفش » .

(٣) وقال :

وهي في الاستفهام والشرط بمنزلة (كل) مع النكرة وبمنزلة (بعض) مع المعرفة تقول : (أيٍ رجال تضرب أضربهم) و (أيّ الرجال تضرب أضربه) .

ابراهيم مصطفى

وانا أجد في هذه المناقشة ظاهرتين ـ الأولى دقة حس استاذنا المغربي بالأسلوب العربي القديم السليم حتى استنكرت أذنه ما أنكره المتقدمون وما قلّ في كلامهم ـ الثانية أن الكتّاب المحدثين أخذوا يُطلقون أقلامهم لا يُطيقون لها قيداً ما استطاعوا البيانَ وما رَسَمَتْ ألفاظهم معانيهم ـ ومن خصائص العربية هذه السعة والمطاوعة حتى عاشت الأجيال . وسايرت الأمم . وطغت بغير جهدٍ على كثيرٍ من اللغات . وفي مرونتها وطواعيتها سر خلودها وغلبتها .

ابراهيم مصطفى

وبعد أن أتم الأستاذ المغربي تلاوة بحثه في (أي) وقرأ الأستاذ ابراهيم مصطفى تعليقه المذكور عليه عاد أعضاء المجمع فأداروا الكلام حول البحث فقال :

الشيخ ابراهيم حمروش : ما ذكره الأستاذ ابراهيم بك مصطفى في توجيه قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) لا ينطبق على قصد المتكلم من هذا التعبير : لأن المتكلم لا يقصد انه لم يصدر عنه تصريح كامل بل أراد النفي المطلق . أما توجيه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي فهو غير صالح أيضاً : لأن النُحاة لا يجيزون حذف الشرط والجواب إلا مع «ان» واستشهدوا بقول الشاعر :

(قالت بناتُ العم يا سلمى وإنن كان فقيراً معدماً قالت وانِنْ)

الأستاذ ابراهيم بك مصطفى : حذفُ الموصوف للدلالة عليه كثير . وقد يكون أقرب من تقدير حذف الشرط والجواب وأما قولهم : ان (أي) يراد بها الكمال فهو تطور في تعبيرهم . انما المراد المبالغة في وصف الشيء أو كمال الموصوف في صفته . ومن هنا جاء معنى الاطلاق في (لم يصدر عني أي تصريح) معناه لم يصدر عني اي كلامٍ يمكن أن يسمى تصريحاً : على أوسع معاني كلمة «التصريح» وأقواها . والنُحاة أنفسهم يتمحّلون في استعمال (أي)

موصولة مع انها لم ترد موصولة في القرآن الكريم الا في موضع واحد في قوله تعالى : (ثم لننزعنّ من كل شيعةٍ أيّهم أشد على الرحمن عتيا) وقد عدّها بعض المفسرين استفهامية ٠

وخلاصة القول : ان هذا الاستعمال (لم يصدر عني أي تصريح) صحيح سائغ ٠ واذا اختلفنا في التأويل فلكلٍ رأيه ٠

الأستاذ عباس محمود العقاد : أضاف الصحفيون الى اللغة العربية تلك العبارة ليدلوا على المعنى الذي تدل عليه كلمة Any في اللغة الانكليزية دون أن يُخلوا بالمعنى الأصلي لكلمة (أيّ) ولو لم يبتكروا هذا التعبير لبقي مقابل كلمة (Any) ناقصاً في العربية ٠ وليس من واجبنا أن نترك لغتنا عاجزةً عن الدلالة عما تدل عليه اللغات الحيّة الأخرى ٠

وكانت الساعة الأولى بعد الظهر فأعلن معالي الرئيس انتهاء الجلسة ٠

المغربي

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٨ —

إنّ وأخواتها : تنصب المبتدأ ، ذا فاعل كان [١] ، أو ذا خبر ، موافقاً كان أو مخالفاً ، نحو : إن زيداً قائم ، وكأنْ قائماً زيد ، وليت عندك عمرو [٢] .

(١) نحو : إنّ قائماً زيدٌ أو الزيدان ، والكوفيون جوزوا رفع الصفة للظاهر على أنه فاعل لها ، من غير اعتماد على الاستفهام أو النفي ، نحو قائم الزيدان ، كما يجيزون نحو : في الدار الزيدان بعمل الظرف بلا اعتماد ، فقائم وفي الدار كلاهما مبتدأ عند الكوفيين ، وزيد أو الزيدان فاعل أغنى عن الخبر ، فاذا دخلت (إنّ) أو احدى أخواتها نصبت المبتدأ وبقي الفاعل على حكمه ، وقد قال المؤلف في تعريف « المبتدأ الموافق ذي الفاعل » (ص ٢٩ من هذه الرسالة بشرحها) : هو شبه فعل أسند الى فاعله الظاهر ، وكتبت : « المراد بشبه الفعل : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والمنسوب » .

(٢) ذكر المؤلف هنا ثلاثة أمثلة ، فالأول : (إن زيداً قائم) مثال لنصب المبتدأ ذي الخبر الموافق « بانّ » ، وهو ما كان عين المبتدأ في المعنى ، لأنّ معنى (قائم) ذات اتصفت بالقيام ، والمراد بها في هذا المثال ، (زيد) موصوفاً بالقيام ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، وهذا معنى كون الخبر موافقاً . والثاني (كأنْ قائماً زيدٌ) مثال لنصب المبتدأ الموافق ذي الفاعل (بكأنّ) (وتقدم المراد بالموافق) وحكمه حكم الفعل مع فاعله الثالث (ليت عندك عمرو) —

« فإنّ » لتحقيق مضمون الجملة و « أنّ » لتأويلها بالمصدر [١] ، و « كأنّ » للتشبيه ، و « لكنّ » الاستدراك [٢] ، و « ليت » للتمني [٣] ، و « لعلّ » للترجي [٤] ، ويجرّ بها في عُقيل [٥] .

— مثال المحلّ المخالف ، وهو « عندك » المنصوب « بكأنّ » . ولا يخفى أنّ لفظ « عندك » ليس هو عمراً في معناه ولذا سموه (المخالف) ، ففي (عندك عمرو) المحل أو المبتدأ الذي هو (عند) منصوب وناصبه معنوي وهو المخالفة ، فصار بعد دخول (ليت) منصوباً بعامل لفظي . وقد ينصب « ليت » الجزءين عند الفراء نحو ليت زيداً قائماً ، لأنه بمعني : (تمنيت) ومفعوله : مضمون الخبر ، مضافاً إلى الاسم ، نحو : تمنيت قيام زيد . (انظر ص ٤٥ من هذه الرسالة) .

(١) (إنّ) هي موضوعة لتأكيد معنى الجملة فقط غير مغيرة لها ، و (أنّ) المفتوحة موضوعة لتكون بتأويل مصدر خبرها مضافاً الى اسمها ، فمعنى بلغني أن زيداً قائم ، بلغني قيام زيد . (٢) هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته ، أو إثبات ما يتوهم نفيه ، قال الأشموني : وليست مركبه على الأصح ، وقال الكوفيون : مركبة من « لا » و « إنّ » والكاف الزائدة لا التشبيهية ، وحذفت الهمزة تخفيفاً . (٣) أي في الممكن والمستحيل نحو : ليت لي مالاً فأحسن ، وليت الشباب عائد . (٤) الترجي في المحبوب نحو : « لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا » والإشفاق في المكروه ، نحو : (لعله أصابته حرفة الأدب !) وتكون عندهم للاستفهام نحو : « وما يدريك لعله يزكّى ؟ » .

(٥) نحو :

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

وهو الكعب بن سعد الغنوي (نحو ٥١٠ هـ) من قصيدة يرثي فيها أبا المغوار ، واسمه هرم ، والشاهد في قوله : (لعلّ) حيث جرّ بها لفظ (أبي) والجرُّ بها لغة (عُقيل) وهو أبو قبيلة .

كما أنَّ «متى» في هذيل حرف إضافة بمعنى «مِن»[١]. ولا يدخلان على الفعلية أبداً، ولها الصدر[٢] إلاّ أن المفتوحة، لأن الجملة معها كالمفرد، فتفتح في محل المفرد، كالفاعل، والمفعول، والمضاف اليه[٣]، والمفعول لغير

(١) كقول أبي ذؤيب الهذلي (توفي نحو ٢٧ هـ) يصف السحاب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت   متى لججٍ خضر لهنَّ نئيج

ترفعت : تصعدت وارتفعت. لجج : جمع لجة، وهي معظم الماء. نئيج : صوت عال. والضمير في «شربن» للسحب، وقد ضمنه معنى رَوِين فعدّاه بالباء، أو هي بمعنى (مِن). و (متى) : حرف جر، ولجج مجرور بها على لغة هذيل، وهو الشاهد، وجملة (لهن نئيج) صفة للجج، أو حال من النون في شربن على زعم العرب. والمعنى : قال شراح هذا البيت إنه جاء على عقيدة العرب من أن للسحب خراطيم تدنو من البحر في بعض الأماكن فتأخذ من مائه بصوت مزعج، ثم تصعد في الجو، فيعذب ذلك الماء، وينتقل الى حيث يريد الله فينزل مطراً. ولا مانع من أن يكون ذلك كنايةً عن تصعد الماء بواسطة حرارة الشمس، وتنقله من جهة الى أخرى بالهواء، ثم نزوله على هيئة مطر، وبذلك يتفق مع ما قرره علماء الطبيعة اهـ من منار السالك قلت : وهذا المعنى الأخير يتفق مع قول القائل :

كالبحر يمطره السحاب وما له   فضل عليـه لأنه من مائه

(٢) كل ما يغير معنى الكلام ويؤثر في مضمونه وكان حرفاً فمرتبته الصدر كحروف النفي، وكحروف التنبيه، والاستفهام، والتشبيه، والتحضيض، والعرض، وغير ذلك، وانما لزم تصدير المغيّر الدال على قسم من أقسام الكلام، ليبني السامع ذلك الكلام من أول الأمر على ما قصد المتكلم.

(٣) لمّا كانت «أنّ المفتوحة» ـ مع جزئيها في تأويل المفرد، لكونها مصدرية ـ وجب وقوعها مواقع المفردات كالفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف اليه نحو : بلغني أنَّكَ قائم، أي قيامُكَ، وعلمت أنك قائم أي علمت قيامكَ الخ.

قول وجوباً [١] . وجواب القسم بلا لام ، فيجوز كسرها ، والفتح أحسن [٢] ، وعن الطوال [٣] ايجاب الفتح . وتكسر في محلّ الجملة كالابتداء [٤] ، والصلة [٥] ، ومقول القول [٦] ، وما في خبره لام [٧] ، وما بعد واو الحال [٨] فان احتملها فوجهان نحو : مَن يأتني [٩] فاني أكرمه [١٠] . ولا تخفف

(١) إذا قُصد بالقول الاعتقاد الشامل للظن والعلم ، فإنها تفتح إذن كما تفتح بعد الظن والعلم ، وأما إذا قُصِد بالقول الحكاية ، فانها تكسر لأنه ابتداء للكلام المحكيّ . (٢) في الرضي الذي لخصنا عنه ما تقدم ، وكذا كسرت في جواب القسَم ، لأنه جملة لا محالة نحو : بالله إنك قائم ، (قال) وقد تفتح إنّ في جواب القسم عند المبرّد والكوفيين إذا لم يكن في خبرها اللام ، ولعلّ ذلك لتأويلهم لها بالمفرد ، أي أقسمت بالله على قيامك .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الله الطوال النحوي من اهل الكوفة ، أحد أصحاب الكسائي ، حدث عن الأصمعي ، وقدم بغداد ، وسمع منه ابو عمرو الدوري المقري ، قال ثعلب : وكان حاذقاً بالقاء العربية ، مات سنة ٢٣٤ هـ . (بغية الوعاة ص ٣٠) من الطبعة الأولى .

(٤) نحو : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

(٥) في التنزيل : « وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة » (أي تثقلها) . (٦) نحو : « قال : إني عبد الله » .

(٧) نحو : « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » . (٨) نحو : « كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق ، وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون » .

(٩) في الأصل تأتيني ، وهو سهو .

(١٠) فالكسر على جعل « إنّ » ومعموليها جملة أجيب بها الشرط فكأنه قال : مَن يأتني فهو مكرم ، والفتح على جعل « أنّ » وصلتها مصدراً مبتدأ ، والخبر محذوف ، والتقدير : من يأتني فاكرامه موجود ، ومما جاء بالوجهين قوله —

المكسورة[١] ، وقد تخفف المفتوحة ، فتُلغَى ، فتدخل الاسمية والفعلية[٢] . وأكثر دخولها على الفعلية بالسين أو سوف ، أو قد ، أو لا ، أو إنْ ، أولن ، أولم[٣] .

تعالى « كتب ربكم على نفسه الرحمةَ أنه من عَمِل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح ، فأنه غفور رحيم » قرئ (فأنه غفور رحيم) بالفتح والكسر ، فالكسر على جعلها جملة جواباً لمَن ، والفتح على جعل أن وصلتها مصدراً مبتدأ خبره محذوف والتقدير : (فالغفران جزاؤه) .

(١) في الرضي : ولا يجوز عند الكوفيين إعمال المخففة . وفي المغني : فان دخلت على الاسمية جاز إعمالها خلافاً للكوفيين وتعقبه الأمير فقال : وظاهره أنْ خلافهم في الإعمال مع الموافقة على المخففة ، مع أنهم يجعلونها نافية ، ولام الفرق بمعنى « إلاّ » وفي منار السالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يجيزون تخفيف (إنّ) المكسورة ، ويؤلون ما ورد من ذلك على أنّ (إنْ) نافية ، واللام إيجابية بمعنى (إلاّ) . (٢) كتب الأستاذ الغلاييني رحمه الله : إذا خففت (أنّ) المفتوحة ، فمذهب سيبويه والكوفيين أنها مهملة لا تعمل شيئاً ، لا في ظاهر ولا مضمر ، وتدخل حينئذ على الجمل الاسمية والفعلية ، وهذا ما يظهر أنه الحق ، وهو مذهب لا تكلف فيه ، والجمهور يرون أنها عاملة كالمشدّدة ، غير أنّ اسمها يجب أن يكون ضميراً محذوفاً ، ولا يجوز إظهاره إلاّ في الضرورة ، وفي قولهم ما فيه من التكلّف اهـ باختصار قليل (ج ٢/٣٢٧) من جامع الدروس العربية .

(٣) إذا وقع خبر (أن) المخففة جملة اسمية لم يحتج الى فاصل ، فتقول : « علمت أنْ زيد قائم » وإنْ وقع خبرها جملة فعلية ، فان كان الفعل غير متصرف لم يؤت بفاصل نحو : « وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى » « وأن يكون عسى قد اقترب أجلهم » وإن كان متصرفاً دعاء لم يفصل أيضاً ، —

ويحسُن دخولها بلا هاء أيضاً كقراءة ابن محيصن «لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة» [١]

وقول الشاعر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما ... مني السلام وأن لا تشعرا أحدا [٢]

— نحو : «والخامسة (أنْ غَضِبَ الله عليها) في قراءة من قرأ بصيغة الماضي ، وإن لم يكن دعاء فقال قوم يجب أن يفصل بينها إلا قليلاً ، وقالت فرقة منهم ابن مالك : يجوز الفصل وتركه ، والأحسن الفصل ، قال في الألفية :

وإن يكن فعل ولم يكن دعا ... ولم يكن تصريفه ممتنعا

فالأحسن الفصل بقد أو نفي أو ... تنفيس، أو لـو ، وقليل ذكر(لو)

ونحن الآن نتبع ترتيب «الموفي» في ذكر الشواهد على ما ذكر من الحروف الفاصلة نحو : «علم أن سيكونُ منكم مرضَى» .

واعلم فعلم المرء بنفعه ... أنْ سوف يأتي كلُّ ما قُدِرا

«ونعلمَ أنْ قد صدَقتنا» «أفلا يرون أنْ لا يَرْجِعُ إليهم قولاً» «أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه» «أيحسب أن لم يره أحد» ولم أر مثالاً للفصل بان وانما رأيت بمَن . قال الرضي : أو بأداة الشرط نحو : (علمت أنْ مَن يضربك أضربه) أو برُبَّ نحو : (علمت أنْ رُبَّ خصم لي) على مذهب الكوفيين اهـ .

(١) برفع «يتمّ» . (٢) (ويح) كلمة ترحّم، وقبل البيت :

يا صاحبيَّ فدت نفسي نفوسكما ... وحيثما كنتما لاقيتما رشَدَا

أن تحملا حاجة لي خف محملها ... وتصنعا نعمةً عندي بها ويدا

وهذه الأبيات لا يعرف لها قائل . في المغني : وزعم الكوفيون أنَّ (أنْ) هذه هي المخففة من الثقيلة ، شذّ اتصالها بالفعل ، وقوله هذا ، بناء على أن الفصل واجب ، والذي في الخلاصة أنه أحسن «فقط» (وفي الأمير) وقال مؤلفنا هنا : وأكثر دخولها على الفعلية بالسين الخ أي ومن الأقل ، دخولها —

ويجوز رفع المعطوف على منصوبها نحو : إن زيداً وعمرو قائمان ، خلافاً للفرّاء فيما ظهر إعرابه ، دون ما خفي ، كقولنا : إن هذا وزيد قائمان [١] .

وقلّ إعمال « كأنْ » مخففة كقوله :

ويوماً توافينا بوجه مقسَّمٍ كأن ظبية تعطو إلى وارق السَّلَم [٢]

— على الفعلية من دون فصل ، ومنه قوله :

علموا أن يؤمَّلون فجادوا قبل أن يسألوا بأعظم سُؤل

والمعنى : علموا أن الناس يرجون معروفهم ، فلم يخيبوا رجاءهم ، ولم يحوجوهم الى السؤال بل تكرموا عليهم قبل أن يسألوهم شيئاً بأعظم مسئول . والشاهد في قوله : (علموا أن يؤملون) حيث استعمل فيه (أنْ) المخففة من الثقيلة ، ولم يفصل بين (أنْ) وجملة الخبر بفاصل من الفواصل المعروفة ، وهي ملغاة بالتخفيف لا عمل لها عند الكوفيين كما علمت .

(١) ذهب الفرّاء إلى أنه لا يجوز رفع المعطوف على منصوبها قبل تمام الخبر إلاّ فيما لم يظهر فيه عمل (إنّ) بأن يكون مبنياً كمثال المؤلف ، أو مقصوراً نحو : إن الفتى وسعيد متعلمان ، ومثل ذلك لو خفي إعراب المعطوف نحو : إن محمداً ويحيى مسافران ، وانظر ما كتبناه في رفع تابع منصوب إنّ وأخواتها (ص ٤٥ و ٤٦) من هذه الرسالة .

(٢) هو لكعب بن أرقم اليشكري يذكر امرأته ويمدحها . توافينا ـ تأتينا . مقسَّم ـ مُحَسَّن ، يقال : رجل قسيم الوجه ، أي جميله . تعطو ـ تتطاول إلى الشجر لتنال منه . وارق ـ مورق . السَّلَم ـ شجر ذو شوك ، واحدته سلمة .

والمعنى ان هذه المحبوبة تأتي الينا في بعض الأحايين بوجه نضر كأنها في قدها واعتدالها وخفتها ظبية تتناول الشجر المخصوص . قال في الأوضح : يروى (أي البيت) بالرفع على حذف الاسم أي كأنها (ظبية) وبالنصب على حذف الخبر ، أي كأنّ ظبية هذه المرأة ، وبالجر على أن الأصل كظبية ، وزيد «أنْ» بينهما .

وقوله: وصدر مشرق النحر كأن ثدييه حُقان[١]

وقد رويا بالرفع، وهو الأشهر[٢].

حروف العطف[٣]: الواو للجمع بلا ترتيب[٤]، وقال بعضهم ترتب، وهو منقول عن الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وعن الشيخين أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء. وقيل إن النحاة اتفقوا على أنها لا ترتب[٥].

(١) البيت لم ينسب الى قائل معيَّن، وهو أحد الأبيات الخمسين التي لم يعرف قائلها كما قال البغدادي في خزانته. النحر ـ أعلى الصدر أو موضع القلادة. حقان تثنية حقة بعد حذف التاء، وهي الوعاء المعروف. والمعنى أن هذا الصدر مضيء عنقه، كأن الثديين فيه حقان (من العاج) في الاستدارة والاكتناز وثدييه اسم (كأنّ) وحقان خبر.

(٢) أشرنا في البيت الأول الى وجوه الإعراب الثلاثة، وعلى رواية الرفع في البيت الثاني، يكون اسم (كأنّ) ضمير الشأن، وثدياه مبتدأ وحقان خبر، والجملة خبر كأنّ. وهذه الرواية أشهر كما قال المصنف.

(٣) أي عطف النَّسَق، من نسقت الكلام؛ إذا عطفت بعضه على بعض، فالمعنى العطف الواقع في الكلام المنسوق بعضه على بعض، بتوسط أحد الأحرف الآتي ذكرها. (٤) أي الاجتماع في الحكم بلا تقييد بمعية أو زمان أو مكان، لا دليل في الواو على شيء منها. (٥) هذا مذهب جميع البصريين والكوفيين ونقل بعضهم عن الفراء والكسائي وثعلب والربعي وابن درستويه ـ وبه قال بعض الفقهاء ـ انها للترتيب. دليل الجمهور، استعمالها فيما يستحيل فيه الترتيب نحو: المال بين زيد وعمرو، وتخاصم زيد وعمرو، وفي التنزيل: «واسجدي واركعي» (انظر الرضي ٢/٣٣٨).

والفاء للتعقيب[١]، وثم للتراخي[٢]، وأو وأم لواحد منهم[٣] . وتجيء أو للإضراب[٤]،

(١) هو أن يكون المعطوف بها متصلاً بلا مهلة ، والتعقيب في كل شيء بحسبه نحو : «أماته فأقبره» ونحو : «فوكزه موسى فقضى عليه» .

(٢) نحو : «أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره» .

(٣) أي لامتناع الجمع بين المتعاطفين في التخيير كقوله : تزوج هنداً أو أختها . وبعد الخبر للشك نحو : «لبثنا يوماً أو بعض يوم» أو للإبهام نحو : «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» والمعنى أن احد الفريقين منا ومنكم لثابت له احد الأمرين كونه على هدى أو كونه في ضلال مبين ، وأخرج الكلام في صورة الاحتمال - مع أنّ مَن وحّد الله وعبده فهو على هدى ، وأنّ مَن عبد غيره فهو في ضلال مبين - توطيناً لنفس المخاطب ليكون أقبل لما يُلقى إليه . (منار السالك) . (٤) في الأوضح : وللإضراب عند الكوفيين وأبي علي ، حكى الفراء : اذهب الى زيد ، أو دع ذلك فلا تبرح اليوم (فأو للإضراب بمعنى بل) . وبمعنى (الواو) عند الكوفيين ، وذلك عند أمن اللبس كقوله :

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع

وهو لحُميد بن ثور (في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي أنه مات في حدود السبعين للهجرة ، وفي معجم الأدباء لياقوت : مات حميد بن ثور في خلافة عثمان رضي الله عنه ج ١١ ص ١٣) أو سافع : آخذ بناصية فرسه . و (أو) هنا بمعنى الواو ، لأن البينية من المعاني النسبية التي لا يعطف فيها إلا بالواو - وهو الشاهد . والمعنى أن هؤلاء القوم أولو شجاعة ونجدة ، اذا سمعوا صوت المستغيث أسرعوا لإجابته ، فبعضهم يلجم الأمهار ، والآخر يأخذ بنواصيها (المنار) .

ومثلها الواو مع إمّا [١] ، و (بل) لإيجاب النفي ، فلا يعطف بها على التثبيت [٢] . و (لكن) للاستدراك [٣] . و (أم) المتصلة لا تفارق الهمزة

(١) عبارة الكافية : وأو وإما وأم لأحد الأمرين مبهماً ، وأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام يليها أحدُ المستويين ، والآخر الهمزة بعد ثبوت أحدهما لطلب التعيين ، ومن ثم لم يجز : أرأيت زيداً أم عمراً ، ومن ثم كان جوابها بالتعيين دون نعم أو لا . والمنقطعة كـ « بل » الخ .

وفي الشرح : اعلم أن الاحرف الثلاثة لأحد الأمرين أو أحد الأمور ، وأو وإما العاطفتان في المعنى سواء ، إلا في شيء واحد ، وهو أن (أو) يجيء بمعنى إلى أو إلاّ ، وتجيء (أو) للإضراب بمعنى (بل) .

وفي الأوضح وشرحه : وزعم أكثر النحويين أن (إمّا) الثانية في الطلب والخبر - نحو : تزوج إمّا هنداً وإمّا أختها ، وجاءني إمّا زيد وإمّا عمرو - بمنزلة (أو) في العطف والمعنى ، فتكون بعد الطلب للتخيير والإباحة ، وبعد الخبر للشك والإبهام ، وللتفصيل نحو : « إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » والواو زائدة لازمة . (٢) قال المغني : ومنع الكوفيون أن يعطف بها بعد غير النفي وشبهه ، قال هشام : محال : ضربت زيداً ، بل إياك اهـ ومنعهم ذلك مع سعة روايتهم دليل على قلته . وفي ابن عقيل : يعطف ببل في النفي والنهي فتكون كلكن في أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو : (ما قام زيد بل عمرو ، ولا تضرب زيداً بل عمراً) .

(٣) وفي ابن عقيل عند قول الناظم : « وأولِ (لكن) نفياً أو نهياً » البيت أي : إنما يعطف (بلكن) بعد النفي ، نحو : (ما ضربت زيداً لكن عمراً) وبعد النهي نحو : (لا تضرب زيداً لكن عمراً) وفي الرضي : أجاز الكوفيون مجيء لكن العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضاً نحو : جاءني زيد لكن عمرو ، حملاً على (بل) .

الاستفهامية [١] ، والمنقطعة للإضراب مع الشك في الثاني [٢] ، و (إما) يجب تكرارها خلافاً للفرّاء [٣] . وقد يجيء (أو) بمعنى الواو كقوله [٤] :

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية   لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

ومن العواطف : (أي) للتفسير [٥] و (إلاّ) المثبتة [٦] .

---

(١) تقدم قول الكافية (وأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام) الخ وفي المغني : أم المتصلة التي تستحق الجواب إنما تجاب بالتعيين لأنها سؤال عنه ، فاذا قيل : أزيد عندك أم عمرو ، قيل في الجواب زيد أو قيل عمرو ، ولا يقال (لا) ولا نعم .

(٢) قال الفرّاء يقولون : هل لك قِبَلنا حق أم أنت رجل ظالم ؟ يريدون بل أنت . ونقل ابن الشجري عن جميع البصريين أنها أبداً بمعنى بل والهمزة جميعاً ، وان الكوفيين خالفوهم في ذلك قال ابن هشام في المغني : والذي يظهر لي قولهم ، إذ المعنى في « أم جعلوا لله شركاء » ليس على الاستفهام (١ / ٤٠) .

(٣) في المغني : « إمّا » يبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله من شك أو غيره ، ولذلك وجب تكرارها في غير ندور ... وقد يستغنى عن (إمّا) الثانية بذكر ما يغني عنها نحو : إمّا أن تتكلم بخير وإلاّ فاسكت . ... وقد يستغنى عن الأولى لفظاً ، وبعد أن أورد شاهدين لذلك (قال) : والفرّاء يقيسه فيجيز : زيد يقوم وإمّا يقعد ، كما يجوز أو يقعد .

(٤) أي جرير ، يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وقبله :

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم   لم أحص عِدّتهم إلاّ بعَدّاد

والعيال جمع عيّل بوزن سيد ، وهو من عاله يعوله : إذا قام بمصالحه ، وبرمت : تعبت وزناً ومعنى . وقد أورده في المغني شاهداً للكوفيين على أن (أو) تأتي للإضراب ، (١/٥٨) . (٥) تقول : عندي عسجد أي ذهب ، وغضنفر أي أسد .

(٦) وهي عندهم بمنزلة (لا) العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها ، لكن ذاك منفيّ بعد إيجاب ، وهذا موجب بعد نفي .

حروف الشرط : إنْ للمستقبل غالباً ، وإن دخلت على الماضي[1] . وقد تفتح همزتها[2] ولو للماضي[3]

(١) يعني سواء دخلت على المضارع أو الماضي ، وكذا (لو) للمضي على أيهما دخلت قال تعالى : «لو يطيعكم في كثير من الأمر» هذا وضعها كما مرَّ في الظروف المبنية (٢/٣٦٢ الرضي) . وقد تستعمل (إن) الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه : إمّا على أن يجوّز المتكلم وقوع الجزاء ولا وقوعه فيه ، كقوله تعالى : «إنْ كان قميصه قُدَّ من قُبُلٍ فصدقت» وإمّا على القطع بعدمه فيه ، وذلك المعنى الموضوع له (لو) كقوله تعالى : «إن كنت قلتُهُ فقد علمتَه» وإما على القطع بوجوده نحو : زيد وان كان فقيراً لكنه كريم ، وأنت وإن غضبت حليم ، واستعمالها في الماضي على خلاف وضعها انظر الرضي (٢/١٠٢) . (٢) في المغني : (تنبيه) وقد ذكر (لأنْ) معان أربعة أخر ، (أحدها) الشرطية كإنْ المكسورة ، واليه ذهب الكوفيون وفي الرضي : والكوفيون جوزوا جزمه بأن المفتوحة الشرطية .

(٣) ذكر المغني لها أوجهاً خمسة (أحدها) : لو المستعملة في نحو : لو جاءني لأكرمته ، وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها الشرطية ، أعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها . (والثاني) : تقييد الشرطية بالزمن الماضي (قال) : وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت (إنْ) فانْ تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ، ولهذا قالوا الشرط (بإنْ) سابق على الشرط (بلو) وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي ، عكس ما يتوهم المبتدئون ، ألا ترى أنك تقول : إنْ جئتني غداً اكرمتك ، فاذا انقضى الغد ولم يجيْ قلت : لو جئتني أمس أكرمتك . (الثالث) : الامتناع ، وقد اختلف النحاة في افادتها له ، وكيفية افادتها إياه على ثلاثة أقوال الخ (١/ ٦٨٩) .

وكثر اللام في جوابها [١] . وتدخلان على الفعلية والاسمية [٢] . و «أما» لتفصيل ما أجمل في الذكر أو الذهن [٣] .

حروف الاستفهام : الهمزة وهل ، ولهما الصدر [٤] . والهمزة تكون للإنكار [٥] . ويجوز حذفها كقوله «شعيث بن سهم أم شعيث بن مِنقَر [٦]»

---

(١) نحو: «لو نشاء لجعلناه حُطاما» ومن تجرده منها : «لو نشاء جعلناه أجاجا» .

(٢) أمّا دخولها على الجملة الفعليه فقد رأيت أمثلته هنا ، وأما دخولها على الاسمية فقد تقدم بحثه في آخر الكلام على (الجوازم) عند قول المؤلف : ويجوز أن يكون الشرط جملة اسمية نحو : «إن امرؤ هلك» . (ص ١٢٢) .

(٣) نحو قولك : هؤلاء فضلاء : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فأديب ، وأما بشر فطبيب . (٤) وتدخلان على الجملة الاسمية والفعلية نحو : (أخالد شجاع أم سعيد) ؟ ونحو : أتعلّم خليل ؟ وهل عليٌّ مجتهد ؟ وهل قرأت النحو ؟ (٥) نحو: «أتعبدون ما تنحتون» «أغير الله تدعون» ؟

(٦) أوله : «لعمري ما أدري وإن كنت دارياً» والهمزة مقدّرة قبل (أم) المتصلة ، والأصل : أشعيث بالهمز في أوله ، والتنوين في آخره ، فحذفهما للضرورة ، والمعنى : ما أدري أي النسبين هو الصحيح . وقوله : شعيث ، مصغر ، ومنقر (بوزن درهم) من تميم ، ينتسب له شعيث . وأما سهم ، فمن قيس . أراد الشاعر هجوهم بأنهم أدعياء في نسبهم اختلاط . والبيت للأسود بن يعفر (مات نحو سنة ٢٢ قبل هـ) . ومثله قول المتنبي :

أحيا ـ وأيسر ما قاسيت ما قتلا   والبين جار على ضعفي وما عدلا

أحيا فعل مضارع ، والأصل أأحيا ، فحذفت همزة الاستفهام ، والواو للحال ، والمعنى : التعجب من حياته يقول : كيف أحيا وأقل شيء قاسيته قد قتل غيري ؟ وذكر المغني له شواهد أخرى (٢/ ٣٦١) .

ويحسن دخولها على الاسم مع وجود الفعل ، بخلاف هل في الكل[1] .

حروف الايجاب : (بَلَى) لإيجاب النفي[2] ، و (نعم) للتقرير[3] ، و (إي) كنعم ، ويخص القسم المحذوف فعله[4] ، وأجل[5] ،

(١) لا شك أن الهمزة أعم تصرفاً ، أي إنها تستعمل فيما لم تستعمل فيه (هل) ، ويراجع بحثها في الرضي ، وقال النحاة ان (هل) أصلها (قد) وهي من لوازم الأفعال ، فان رأت فعلاً في حيّزها مالت إليه ودخلت عليه ، كما قال الشاعر الغزل :

مليحة عشقت ظبياً حوى حورا فمذ رأته سعت فوراً لخدمتــه
كـ(هل) إذا مارأت فعلاً بحيّزها حنت إليه ولا ترضى بفرقته !

(٢) أي إنّ (بلى) تنقض النفي المتقدم سواء كان ذلك النفي مجرّداً ، نحو : بلى في جواب من قال : ما قام زيد . أي بلى قد قام ، أو كان ذلك النفي مقروناً باستفهام ، فهي إذنْ لنقض النفي الذي بعد ذلك الاستفهام كقوله تعالى : «ألست بربكم قالوا بلى» أي بلى أنت ربنا . قال في المغني : واعلم أنّ تسمية الاستفهام في الآية تقريراً عبارة جماعة ، ومرادهم أنه تقرير بما بعد النفي .

(٣) أي مقررة لما سبقها ، أي مثبتة ، سواء كان موجباً نحو (نعم) في جواب من قال : قام زيد ، أي نعم قام . أو منفياً نحو : نعم في جواب مَن قال ما قام زيد أي نعم ما قام .

(٤) نحو : «إي وربي إنه لحق» وفعل القسم محذوف .

(٥) جواب مثل نعم ، فيكون تصديقاً للمخبر ، واعلاماً للمستخبر ، ووعداً للطالب ، نحو : حضر الأستاذ . وهل حضر الأستاذ ؟ ونحو : «اجتهدْ في دروسك» فتقول : أجل في ذلك كله كما تقول : نعم .

وجيرِ [١] ، وإنّ [٢] .

حروف النفي : لم ولمّا ، لقلب المضارع ماضياً [٣] ؛ ولا ، للماضي المتكرر [٤] ، والمستقبل [٥] ، وورد للحال [٦] ، وان ، للاستقبال بلا تأبيد

(١) في الرضي : ويقوم مقام الجملة القسميّة أيضاً بعض حروف التصديق ، وهو (جير) بمعنى : نعم ، والجامع أن التصديق ، توكيد وتوثيق ، كالقَسَم ، تقول : جير لأفعلن كأنك قلت : نعم والله لأفعلنّ ، وهي مبنية على الكسر ، وقد يفتح ككيف .

(٢) نحو قوله :

ويقلن شيب قد علا ... ك وقد كبرت فقلت إنّه

وهي حرف جواب بمعنى : نعم ، والبيت لعبد الله بن قيس الرقيّات ، مدح عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير ، ولقب بالرقيات لأنه تغزل بنسوة اسم كلهن (رقية) وقبله :

بكر العواذل في الصّبو ... ح يلمنني وألومهنّه

وبكر بالتخفيف : خاص بأول النهار . والهاء هاء السكت .

(٣) أي قلب معنى الفعل المضارع للمضيّ ، ويجوز انقطاع نفي منفي « لم » ، ومن ثَمّ جاز : لم يكن ثم كان ، وامتنع في (لمّا) وقد تقدم هذا في مبحث الجوازم (ص ١١٨) من هذه الرسالة .

(٤) نحو : « فلا صَدّق ولا صلّى » .

(٥) في المغني : وان كان ما دخلت عليه فعلاً مضارعاً لم يجب تكرارها ، نحو : « لا يحب الله الجهر بالسوء » .

(٦) ويتخلص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك جاء زيد لا يتكلم ، بالاتفاق ، مع الاتفاق على ان الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال . ا هـ

ولا تأكيد [١] . وما وإن ، للحال ، والماضي القريب منها [٢] .

حروف الاستثناء : إلاّ ، واللام ، بعد (إنْ) النافية ، كقوله :

شلت يمينك إنْ قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد [٣]

ونصب « كُلاًّ » في قراءة « وإنْ كُلاًّ لمّا ليُوفّيَنّهم » بتقدير : (أرى) [٤] .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

---

(١) تقدم مثل هذا للمؤلف في نواصب الفعل المضارع . (ص ١١٤)

(٢) نحو : « وما تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله » » وإنْ أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » « إن أردنا إلاّ الحسنى » .

(٣) قائلة هذا القول هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل صحابية مبايعة مهاجرة ، أخت سعيد أحد العشرة . تخاطب به عمرو بن جرموز قاتل الزبير ابن العوّام ، في وقعة الجمل (أو قبلها) . شلت : يبست وجمدت والقصد : الدعاء على القاتل . حلت : وجبت . والمعنى : أشل الله يدك أيها القاتل ، لأنك قتلت مسلماً ، ووجبت عليك عقوبة متعمد القتل : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً . . . الآية) .

وفي منار المسالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يجيزون تخفيف (إنّ) المكسورة ، ويؤولون ما ورد من ذلك على أنّ (إنْ) نافية ، واللام إيجابية بمعنى (إلاّ) .

(٤) الكوفيون يجعلون (إنْ) نافية ، ويقدرون فعلا ، أي : وما أرى كُلاًّ إلاّ ليوفينّهم ، و (ما) صلة ، أو نكرة بمعنى حقا .

الجزء الثاني

من

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

للشيخ نجم الدين الغزي

— ٤ —

ص ٢٠٠ : ٢٢ — مسبباً ببابه .

الصواب : « متسبباً بباب البزيد » شذ (٢٢٢) .

ص ٢٠١ : ٢ — واليك مرجعنا بأمر حازم .

الصواب : « بأمر جازم » شذ (٢٢٢) .

ص ٢٠١ : ٤ — وعصيت في تمهيد اسّ وحدتي .

الصواب : « وعصيت في جهل الشباب وجدتي » شذ (٢٢٢) .

ص ٢٠١ : ٥ — آنس مبيتي في القبور وجدتي .

الصواب : « آنس مبيتي في القبور ووحدتي » شذ (٢٢٣) .

ص ٢٠١ : ١٤ — علي بن محمد بن عز الدين بن محمد الصغير .

الصواب : « علي بن احمد بن محمد بن » شذ (٢٢٣) ولأن اسم محمد بعد علي قد مضى . ثم أتى بعد ذلك : علي بن احمد كما في الاسم الذي قبله وبعده . ومع ذلك فهذا النسب مشوش حتى في الشذرات .

ص ٢٠١ : ١٦ — بمكتب العدل .

الصواب : « بمكتب العدول » شذ (٢٢٣) أي الشهود العدول .

ص ٢٠٢ : ٩ — الى حلفاء الشيخ . وعلق عليها : في الأصل خلفات .

الصواب : « الى خلفاء الشيخ » والخلفاء جمع خليفة . والخليفة عند الصوفية

هو الذي يخلف شيخه بعد موته بالارشاد ويكون ذلك باجازة من الشيخ قبل وفاته .

ص٢٠٣ : ٥ — وذكر الشعراوي في طبقاته .

الصواب : « وذكره الشعراوي في طبقاته » .

ص ٢٠٣ : ١٥ - قال فتكفل علي بذلك .

الصواب : « قال فثقل علي ذلك » .

ص ٢٠٤ : ١٤ — واذا تألف بارق من بارق .

الصواب : « واذا تألق بارق من بارق » .

ص ٢٠٥ : ٢ — ابن ماجة .

الصواب : « ابن ماجه » بالهاء .

ص ٢٠٥ : ١١ — من طريق بحر التيسير .

الصواب : « من طريق التيسير » .

ص ٢٠٦ : ٢١ — في مدرسة تغم بمحلة ميدان الحصا .

الصواب : « في مدرسة تنم بمحلة ميدان الحصا » .

ص ٢٠٦ : ٢٢ — واستجازه وأجازه .

الصواب : « واستجاره فأجازه » .

ص ٢٠٧ : ١٨ — من مستهام فعاداه الى الأجل .

الصواب : « من مستهام فقاداه الى الأجل » شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٧ : ٢٣ — ان تقطعوا بالغرام الود ما حيلي .

الصواب : « ان تقطعوا بانصرام الود ما حيلي » شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٨ : ١ — ماحلت عنكم ولا أبغى لكم بدلاً .

الصواب : « ولا أبغي بكم بدلاً » شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٩ : ١٩ — ناصحاً صحباً وعشرة .

الصواب : « ناصحاً صحباً وعترة » وعترته أهل بيته .

ص ٢٠٩ : ٢٠ — ضعف الفي الف مرة .

الصواب : « ضعف الفِ الفَ مرة » .

ص ٢١٠ : ٢٧ — فحصل .

الصواب : « حصل » .

ص ٢١١ : ١٨ — تـكلم بعض الناس .

الصواب : « كلم بعضَ الناس » .

ص ٢١٢ : ١١ — فجاءنا .

الصواب : « فجاء » .

ص ٢١٣ : ٢٦ — وجرّجوه بما هو بريء منه .

الصواب : « وجرحوه » بالتخفيف لا بالتشديد .

ص ٢١٤ : ١٩ — ارتكبه ديون .

الصواب : « ارتكبته ديون » .

ص ٢١٤ : ٣٠ — قيل شاهد سيدي اسحاق وانا شاهد نوراً طالع من عنده .

الصواب : « قيل شاهد سيدي اسحاق وشاهد نوراً طالع من عنده » .

ص ٢١٩ : ٥ — فخط بين السورين .

الصواب : « بخط بين السورين » .

ص ٢١٩ : ٦ — يقول الفسقية التي فيها اودك تسع احداً .

الصواب : « يقول : الفسقية التي فيها اولادك تسع احـداً » بدليل قوله س (١٩ — ٢٠) فليس معه احد مدفوناً سوى ولدي محمد الأول واخوه عبد الرحمن فانهما دفنا قبله بسنتين .

ص ٢٢٠ : ٨ — بباب الخرق .

الصواب : « بباب الخلق » محلة معروفة بهذا الاسم الى عصرنا . هذا بالقاهرة . وفيها دار الكتب المصرية ومطبعتها .

ص ٢٢٠ : ١٨ — لا تجد احداً من الخاق يشكون له .

الصواب : « لا يجد احداً من الخلق يشكو له » .

ص ٢٢٣ : ١٩ — يتكسب بالشهادة بمركز العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي .
الصواب : « يتكسب بالشهادة بمكتب العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي » وتقدم الكلام عنه .

ص ٢٢٤ : ١٧ — وقد زادت شيوخه في الحديث بالسماع والاجازة والاجازة الخاصة على مئتين وبالاجازة العامة دون السماع والاجازة الخاصة على مئة .
الصواب : « وقد زادت شيوخه بالسماع على مئتين ، وبالاجازة العامة دون السماع ، والاجازة الخاصة على مئة » . شذ (٢١٩) وهي أحسن انسجاماً .

ص ٢٢٥ : ١٥ — يضارب به برجل . وعلق عليها : في الاصل : رجلاً .
الصواب : « يضارب به رجلاً » كما في الأصل ، ويضارب بمعنى يشارك ، والمضاربة نوع من الشركة لها أحكام وحدود في كتب الفقه .

ص ٢٢٥ : ١٦ — ومختصر تنبيه الوسنان .
الصواب : « ومختصره تنبيه الوسنان » شذ (٢١٩) .

ص ٢٢٥ : ١٧ — مغني الراهب في روض الطالب .
الصواب : « مغني الراغب في روض الطالب » شذ (٢١٩) .

ص ٢٢٥ : ٢١ — المنتخب المرضي من مسند الشافعي . علق عليها : كذا في الاصل ولعل الضاد محرفة عن عين .
الصواب ما في الأصل كما في شذ (٢١٩) والمعنى واضح منسجم .

ص ٢٢٦ : ٢ — النبذة الزكية فيما يتعلق بذكر انطاكية .
الصواب : « النبذة الزاكية فيما يتعلق بذكر انطاكية » شذ (٢٢٠) .

ص ٢٢٧ : ١٥ — معروف الحبرني .... امام الصابونية .
الصواب : « معروف الجبرتي .... امام الصابونية » شذ (٢٦٦) والجبرتي نسبة الى جبرت وهي بلاد الزيلع في الحبشة وتعرف في عصرنا بالصومال . ومن شرط المدرسة الصابونية ان يكون إمامها من الطائفة الجبرتية . انظر تنبيه الطالب للنعيمي ص ١٤ .

ص ٢٢٧ : ٢٤ – طارح التكليف .

الصواب : « طارحاً للتكلف » شذ (٢٩٧) .

ص ٢٢٨ : ٢١ – لا يكثر بالدنيا .

الصواب : « لا يكترث بالدنيا » .

ص ٢٢٩ : ٩ – المقيم بالزقوفية .

الصواب : « المقيم بالبرقوقية » (شذ ٢٦٩) .

ص ٢٢٩ : ١٠ – وكان يقول مذهب الشافعي نصب عينه .

الصواب : « وكانت تقول مذهب الشافعي نصب عينيه » شذ (٢٦٩) .

ص ٢٣٠ : ٢٥ – حتى جازاه وأوقع بصره عليه .

الصواب : « حتى حازاه وأوقع بصره عليه » .

ص ٢٣٢ : ٨ – يخطر لي ان طالما .

الصواب : « يخطر لي انه طالما » .

ص ٢٣٣ : ١٠ و ١١ – فقرأ عليه المختصر والمطول مع حاشية الشريف الى باب النصر .

الصواب : « ... الى باب القصر » والمختصر والمطول شرحان للسعد التفتازاني على متن التلخيص للقزويني وهو في علم المعاني والبيان والبديع . وباب القصر ، هو أحد أبواب علم المعاني .

ص ٢٣٥ : ١٧ – باحدى الثاني .

الصواب : « باحدى الثمان » .

ص ٢٣٦ : ١٨ – احدى الثاني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٣٧ : ٤ – وبنى داراً للفقراء .

الصواب : « وبنى داراً للقراء » شذ (٢٦٣) .

ص ٢٣٩ : ٥ — ابن علاء الدين الاقصرائي .

الصواب : « علاء الدين الاقصرائي » شذ (٢٢٣) .

ص ٢٣٩ : ١٠ — اعانة العارض .

الصواب : « اعانة الفارض » شذ (٢٢٣) .

ص ٢٣٩ : ١٤ — أصله من نهران .

الصواب : « اصله من هراة » شذ (٢٢٩) .

ص ٢٤٠ : ٣ — بمكتب العدل .

الصواب : « بمكتب العدول » .

ص ٢٤١ : ١٨ — الشيخ علي بيك .

الصواب : « الشيخ علي البيري » تقدم ذكره قبل ثلاثة أسطر في الكواكب .

ص ٢٤١ : ٢٣ — محملها رجل جاهل .

الصواب : « فحملها رجل جاهل » .

ص ٢٤٢ : ١٥ — قدم حلب فرأس بها وتزوج .

الصواب : « قدم حلب فراش بها وتزوج » أي صار صاحب مال ورياش .

ص ٢٤٣ : ٥ — كان فلكة مغزل .

الصواب : « كأنه فلكه مغزل » .

ص ٢٤٣ : ١٠ — قاس فميم زائدة .

الصواب : « قاس بميم زائدة » .

ص ٢٤٥ : ٩ — مبارك عبد الله الحبشي .

الصواب : « مبارك بن عبد الله الحبشي » شذ (٢٥٩) .

ص ٢٤٥ : ١٠ — ان المبرد .

الصواب : « ان ابن المبرد » وهو الجمال ابن عبد الهادي تقدم الكلام عنه

ص ٢٤٥ : ١٣ — وأقام على الأتراك وقاموا عليه .

الصواب : «وقام على الأتراك ، وقاموا عليه » شذ (٢٥٩) ·

ص ٢٤٦ : ٢٠ — تعلقه بكلامه وحمله ·

الصواب : « تعلقه بكلامه وحله » شذ (٣٢٢) ·

ص ٢٤٦ : ٢٢ - كلام المسنوي ·

الصواب : « كلام المثنوي » كتاب شعر صوفي باللغة الفارسية مشهور جداً كل قطعة منه بيتان ولذلك سمي المثنوي من قولهم : مثنى مثنى ·

ص ٢٤٧ : ١ — خطيب حمام الورد ·

الصواب : « خطيب جامع الورد » والخطيب يكون للجامع لا للحمام ·

ص ٢٤٧ : ٢٤ - دخل تيمورلنك ·

الصواب : « دخلها تيمورلنك » شذ (٢٣٥) ·

ص ٢٤٨ — باحدى الثاني · مكررة ثلاث مرات ·

الصواب : « باحدى الثمان » ·

ص ٢٤٩ : ١٨ — اصحاب الحديث من الاولياء ·

الصواب : « اصحاب الجذب من الأولياء » ·

ص ٢٤٩ : ١٨ - لا بد من وقوع فيه ·

الصواب : « لا بد من وقوع فتنة » ·

ص ٢٤٩ : ١٨ — وكان اذا صبت عليها انقطعت الفتنة ·

الصواب : « وكان اذا صب ماء عليها انقطعت الفتنة » ·

ص ٢٥٠ : ١٨ - كان يدور في أسواق دمشق ·

الصواب : المترجم مجذوب مصري ليس في ترجمته ما يدل على أنه دخل دمشق ولعل الصواب ان يكون « في أسواق دسوق » وهي احدى المدن المصرية ·

ص ٢٥١ : ١٤ - المولى التكشاري ·

الصواب : « المولى التكساري » الشقائق على هامش تاريخ ابن خلكان ١/٦١٢ ·

وهو كذلك في نسخة خطية من الشقائق محفوظة في الظاهرية رقم ٢٨ ق ٧١ .

ص ٢٥١ : ١٦ — باحدي الثماني .

الصواب : « باحدى الثمان » .

ص ٢٥١ : ١٦ – ابن مغتيشا .

الصواب : « ابن مغنيسا » المصدر السابق .

ص ٢٥١ : ١٩ — احدى الثماني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٥١ : ٢٣ — مصطفى الحافي ... المشهور بحافي .

الصواب : « مصطفى جاك .... المشهور بجاك » الشقائق (٥٦/٢) المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بالظاهرية رقم (٢٨) تاريخ ، ورقة (٨٣) .

ص ٢٥٢ : ٢ — ببلدة تبرة .

الصواب : « ببلدة تيرة » الشقائق (٥٦/٢) شذ (٢٠٥) .

ص ٢٥٢ : ٨ – ثماني سنوات .

الصواب : « ثمان سنوات » .

ص ٢٥٤ : ١٤ - قوله تعالى (قل من يحيي العظام وهي رميم) .

الصواب : « قوله تعالى (قال من يحيي العظام وهي رميم) » آية قرآنية سورة يس آية (٧٨) .

ص ٢٥٦ : ٨ — ثم بمدرسة مناشير بالمدينة المذكورة .

الصواب : « ثم بمدرسة مناستر ..... » ومناستر مدينة مشهورة كانت احدى الولايات العثمانية ، ثم سلخت عنها لدول البلقان .

ص ٢٥٦ : ٩ — باحدى الثماني .

الصواب : « باحدي الثمان .

ص ٢٦٠ : ١٦ — نائب الشام كان بردي العرابي . وعلق على لفظ « بردي » ما يلي : كذا في الأصل ولعلها مؤذن .

الصواب : « نائب الشام جان بردي الغزالي » راجع ترجمته في شذرات الذهب ٨/١٥٠ واعلام الورى لابن طولون مخطوط في مكتبتنا ومصور في المجمع العلمي العربي . وولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان تحت الطبع .

ص ٢٦٢ : ٧ — احدى الثماني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٦٢ : ١٨ — وولي قضاء صفد ثم خربت ولم يذهب اليها .

الصواب : « وولي قضاء صفد ثم خرتبرت ولم يذهب اليها » أي الى خرتبرت وهي احدى بلاد الجمهورية التركية وتسمى في عصرنا « خربوط » والتصحيح من شذ (٢٥٣) والمعنى على نص الكواكب المغلوط ان مدينة صفد خربت في عصر المترجم وليس ذلك بصحيح .

ص ٢٦٢ : ١٩ و ٢٠ — ثم لما تولى نازع ولديه في العرفة يحيى بن كريم الدين .

الصواب : « ثم لما توفي نازع ولديه في العزية يحيى بن كريم الدين » يعني ان المترجم كان تولى المدرسة العزية الكائنة بالشرف الأعلى المتقدم ذكرها قبل سطر . فلما توفي المترجم أراد ولداه أن يتوليانها فجاء يحيى ابن كريم الدين ونازعهما على التولية والتصحيح من شذ (٢٥٣) .

ص ٢٦٢ : ٢٠ — وأثبت انه من ورثة واقفها .

الصواب : « من ورثة واقفيها » كما وردت قبل سطر وكما في شذ (٢٥٣) .

ص ٢٦٣ : ٤ و ٥ — احدى الثماني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٦٣ : ٦ — طارحاً للتكليف .

الصواب : « طارحاً للتكلف » .

ص ٢٦٣ : ٩ — في معالجة المرض بدار الشفاء .

الصواب : « في معالجة المرضى بدار الشفاء » .

وهذا آخر ما توفقنا الى تصحيحه في الجزء الثاني من الكواكب السائرة ، وقد فاتني نحو نصف ما ذكرته مما لم أهتد الى صوابه . ولو وُجدت الطبقات الوسطي للشعراني وكتاب در الحبب لابن الحنبلي لأمكن تصحيح كثير من نصوصه واني أرجح أن نسخة مكتبة الأزهر أصح من النسختين اللتين طبع عنهما الدكتور جبور هذا الكتاب فعسى أن يقوم أحد فضلاء المصريين بمقابلة نسخة مطبوعة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالأزهر ثم ينشر الخلافات التي يجدها بين النسختين ، فيضيف جهوداً جديدة ويسدي يداً مشكورة الى العلماء والمحققين .

محمد أحمد دهمان



التعريف والنقد

في أصول النحو

تأليف سعيد الأفغاني

هذا الكتاب دراسات في اللغة والنحو ، يقع في قرابة مئتي صفحة من القطع الكبير . يقول الأستاذ المؤلف في مقدمته : «... حرصت في هذه المباحث ، على أن يتزوّد الطلاب بمادة صالحة فيها مع مسايرة النظرة التاريخية على قدر الامكان ، وراعيت فيها مستواهم وحاجتهم ، ولولا ذلك لوجب طي بعض ما نشر ، ونشر بعض ما طوي ، فكثير من القضايا مررت بها قطفاً لأنه بحث باسهاب في دراساتهم السابقة ...»

«... وأنا موقن ، بان بين هذه المحاضرات ، والكمال الذي أتصوره لها مراحل فساحاً ، وان عمل الانسان أبداً في حاجة الى الاصلاح ، وان الخطوات العلمية لا تسدد الا بالنقد يُسهم فيه كل من عن له رأي صالح ، وانه ما من أحد يصغر عن أن يَنقد ، كما انه ما من أحد يكبر عن أن يُنقَد ، ولست أضمن من عملي هذا أكثر من أني بذلت فيه جهداً باخلاص ...»

وبعد المقدمة الممتعة الرصينة ، التي نقلنا هذه القطعة منها . يحصر المؤلف موضوعه في أربعة بحوث :

١ — الاحتجاج في اللغة . يتناول فيه : اللحن وتتابعه ـ العلوم التي يحتج لها ـ من يحتج بكلامه ، وما يحتج به من الكلام ـ بعض قواعد في الاحتجاج .

٢ — القياس . وفيه : تاريخ القياس ـ القياسيون ـ أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي ـ أحكام القياس ـ العصريون والقياس ...

٣ – الاشتقاق . معناه – أنواعه – أحكام تتعلق به – كتب الاشتقاق ...

٤ – الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة . لمحة تاريخية – نشأة الخلاف – الفروق بين المذهبين – نموذج من خلافهم – أثر العصبية في الخلاف – خلط المذهبين في بغداد والأندلس والشام .

وقد وفّى الأستاذ المؤلف موضوعاته حقها ، من البحث والاستشهاد ، وعزز ذلك بالرأي الناضج . من ذلك قوله في بحث الاشتقاق :

« لا بد من اعادة النظر في باب الاشتقاق ، والوقوف على استعداد اللغة العربية فيه ، والافادة من مرانتها وطواعيتها وكنورها المعطلة ، لنلبي حاجات عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر ، فنُطرد (؟) من قواعده ما كان غير مُطرد ، ونكمل المواد الناقصة في المعاجم ، ونشتق من الأعيان وغيرها كل ما تدعو اليه حاجة » .

وتبين قيمة الكتاب ، مما نوهنا به ، ونقلناه عنه ، فنشكر للمؤلف غيرته على لغته ، وخدمته لها بما يضمه فيها من الكتب القيمة .

الوسائل الى مسامرة الأوائل

تأليف جلال الدين السيوطي

حقق هذا الكتاب الدكتور أسعد طلس . وطُبع في مطبعة النجاح ببغداد . قدم المحققُ للكتاب مقدمة ذكر فيها من ألف في هذا الموضوع . ثم وصف المخطوطة التي اعتمد عليها ، ثم ترجم للمؤلف ونوه برغبته في التأليف واكثاره منه ، وما قيل فيه وفي تآليفه .

والمؤلف قليل التدقيق في كثير مما يكتب ، كثير النقل عن غيره ، وفي هذا الكتاب الدليل الواضح على هذين الأمرين .

وعلى الرغم من ان المحقق قال في المقدمة : « ولم أعثر في الكتاب على أخطاء املائية او لغوية الا نادراً جداً مما لا يكاد يخلو منه كتاب » فقد كانت الأغلاط كثيرة منها المطبعية ، وقد أشار الى بعضها في ملحق خاص في آخر الكتاب ، ومنها ماقد يكون في أصل المخطوطة ، وكان يسهل تصحيحها ولاسيا الأبيات الشعرية. من ذلك :

وهذه تاسعة المثين قد أتت لا يخلف الهادي ما فيها وعد

ولعل صوابه :

وهذه تاسعة المثين قد أتت ولا يخلف ما فيها وعد

ليستقيم الوزن والقافية .

ومنه : وكسونا البيت الذي حرم الله ملا معصباً وثوباً برودا

وهو بيت لم يستقم وزنه ولا مبناه . فلا يصح أن تنعت :

« الملاء بـ « المعصب » و « الثوب » بـ « البرود » .

وقد يكون البيت :

وكسونا البيت الذي حرم الله مُلاءً وأثوباً وبروداً

أو ما يشبه ذلك ، وأثوب بالهمزة او التسهيل : جمع ثوب . بقي من أين جيء بـ « المعصب » ؟ ولو كان « مُلاةً عُصباً » لصح المعنى فـ « العَصب » على ما في اللسان : « برود يمنية يُعصب غزلها أي يُجمع ويشد ثم يُصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاً ، ما عُصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل هي برود مخططة » غير أن نعت « الثوب » بـ « البرود » لا وجه له ، ومع جمعه لا يستقيم الوزن .

ثم اطلعنا على هذا البيت في كتاب شمس العلوم « تأليف نشوان بن سعيد الحميري » وروايته :

وكسونا البيت الحرام من العَصْب مُلاءً معضّداً وبرودا

وكذلك في الصفحة الـ ٤٣ .

أولُ عبد عمل الحاملا أخزاه ربي عاجلا آجلا ،

ولعل الصواب « عاجلاً وآجلا » ليكون الصدر والعجز من بحر واحد ،
وأغرب من هذا كله ما جاء في الصفحة الـ ٦٤ :

ألا هل أتى رسول الله الا انني حميت صحابتي بصدور نبلي

ولعل صوابه :

الا هل أتى رسول الله اني

بوصل الهمزة في أتى شذوذاً .
وفي الصفحة الـ ١٢٢ :

عالجتها امرداً حتى اذا شبت ولم تحسن ابا جادها

والصواب :

عالجتها أمرد حتى اذا

فيستقيم الوزن ونخرج من تجوز لا وجه له .
الى أمثال لها ، كان يمكن تداركها بالاصلاح .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اليزيديون في حاضرهم وماضيهم

تأليف السيد عبد الرزاق الحسني

رسالة من القطع الكبير تقع في مئة صفحة وتزيد . طبعت طبعاً متقناً في مطبعة العرفان بصيدا : « تبحث في منشأ الطائفة اليزيدية وتتكلم عن معتقداتها الدينية . وعن الشيخ عدي بن مسافر الذي تنتمي اليه . وعن مرقده وصفة هذا المرقد ، وتضم بين دفتيها نصوص كتبها المقدسة لديها . وتصف شرائعها الطقسية وسننها الاجتماعية وأعيادها الرسمية .. »

ثم يقول المؤلف في مقدمة رسالته : « واليزيدية احدى الطوائف التي تكتمت في اظهار معتقداتها تكتماً شديداً ، يعيي المؤرخ ان يعطي عنها نتيجة قطعية ، أو ان يصورها تصويراً نهائياً ... لهذا نرى الباحثين في هذا المذهب يختلفون

في نتائج تدقيقاتهم وتباينهم اختلافاً يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن الى ما وصلت اليه تحقيقاته ، ولا مؤمن بما وصلت اليه يد البحث ايماناً علمياً » .

وهذا الذي نقلناه ، يعطي فكرة عن موضوع الرسالة ، وأسلوب المؤلف فيها . وقد زار السيد الحسني اليزيديين في ديارهم ، وقابل أمراءهم ، واختلط بهم . واطلع على ما استطاع أن يطلع عليه من أسرارهم وخفاياهم . ثم اعتمد على من سبقه من الذين ألفوا في هذا الموضوع ، فجاءت رسالته وافية ، يقف المطلع عليها ، على كثير من الحقائق التي تكشف عن بعض حقيقة اليزيديين ، في مختلف نواحي حياتهم : الدينية والاجتماعية .

وزيّن المؤلف رسالته بعدد من الرسوم ، يستعين بها القارئ على تعرف كثير من شؤون القوم وأحوالهم : العامة والخاصة . وهو جهد يشكر المؤلف عليه .

عارف النكدي

تاريخ سورية

الدكتور فيليب حتي

صدر بالانكليزية في لندن (شركة مكميلان) ١٩٥١

لم تكن مهمة الدكتور فيليب حتي حين تصدى لوضع تاريخ شامل لسورية في حدودها الطبيعية منذ العصر الحجري حتى العصر الحاضر من المهمات السهلة . فالبلاد السورية من جبال طورس حتى حدود مصر قد شاهدت مواكب الحضارة قبل أن يبدأ التاريخ ، وتاريخها هو بالواقع صورة مصغرة لتاريخ العالم المتمدن . ففي العصور القديمة نشأت فيها حضارة الأقوام المعروفة بالسامية وتأثرت بحضارات الشعوب الفاتحة التي أتتها من البلاد المجاورة في وادي النيل والرافدين والأناضول وكذلك من بلاد اليونان والرومان ، كما انها أثرت هي بدورها في هذه الشعوب .

وقبل الفتوحات الاسلامية عرفت سورية دولاً عربية كانت لها حضارتها المشهورة ثم لم تلبث أن أصبحت في العصور الوسطى وفي ظل الدولة الاسلامية قلب امبراطورية عربية واسعة وساهمت في نشر الحضارة حتى بعد زوال وحدة هذه الامبراطورية . وعندما حكمتها الدويلات الأعجمية التي قامت في مصر ثم أتاها العثمانيون وحكموها في العصور الحديثة لم تفقد البلاد شخصيتها ولا لغتها وظلت محتفظة بهذه الشخصية الى أن قامت فيها الدول العربية الحديثة بالرغم من ظروف الاستعمار الصعبة التي أحاطت بها .

هذه المراحل المختلفة في تاريخ البلاد مع ما رافقها من أحداث سياسية وما ظهر أثناءها من مظاهر في الحضارة تحتاج معالجتها الى جهود كبيرة وذلك لأن تاريخ سورية يقترن من جهة بتاريخ عدد كبير من الدول التي احتكت بها، ومن جهة أخرى لأن الوثائق المتعلقة بعصور هذا التاريخ مكتوبة بلغات متعددة . وقد تصدى الدكتور حتي لوضع تاريخ سورية بما فيه من صعوبة وتعقيد كما تصدى منذ نحو خمسة عشر عاماً لوضع تاريخ العرب، وكان توفيقه في كتابه الجديد الذي بين يدينا لا يقل عن توفيقه في كتابه الأول . وقد أصبح المجلد الضخم الذي كتبه عن تاريخ العرب مرجع الأوساط الأجنبية في هذا الموضوع حتى طبع خمس طبعات وترجم الى معظم اللغات الحديثة . والمجلد الجديد في تاريخ سورية قد اضطر الدكتور حتي الى الاطلاع على المراجع الأصلية المتعلقة بعصور التاريخ السوري وكتابات أكابر العلماء المختصين بتاريخ كل فترة فضلاً عن اطلاعه على نتائج الحفريات التي أجراها العلماء الأثريون في طول البلاد وعرضها في القرن الأخير وخاصة منذ ثلاثين سنة . والدكتور حتي وهو أستاذ اللغات السامية وآدابها في جامعة برنستون ومن العلماء العالميين في الدراسات العربية الاسلامية لم يتردد في طرق أبواب الدراسات الكلاسيكية والتعرف الى كبار كتاب اليونان واللاتين والى مراجعة أبحاث العلماء الأثريين

لكي يكتب فصول تاريخه السوري . والكتاب الجديد لا يقتصر على التاريخ السياسي للبلاد السورية فحسب وانما نعتبر ان من أهم مزاياه أنه لا يترك ناحية من نواحي الحضارة الا ويصفها ويعالجها . فهو يكتب عن نظام الحكم والمجتمع في كل فترة وفي كل عصر، ويبحث عن الأحوال الاقتصادية والعمرانيـة، ويتناول الحياة الفكرية والفنية، وفي جميع هذه الأبحاث يرجع الى المصادر الرئيسية الأصلية ويشير اليها في الهوامش ويقارنها بما توصل اليه علماء الآثار والمؤرخون المعاصرون . ومن مزايا الكتاب انه فضلاً عن تعريف القارئ بأهم المراجع التي استقى منها او اعتمد عليها يعطيه صورة حية عن حضارة البلاد بالرسوم الكثيرة التي يتضمنها، ويسهل على القارئ فهم أوضاع البلاد السياسية بوضع نحو ثلاثين خريطة تاريخية تتعلق بمختلف العصور وجداول للحكام والملوك في مختلف فترات التاريخ السوري . ويزيد في قيمة الكتاب ذلك الفهرس العام الذي يحوي في خمسين صفحة تقريباً أسماء جميع الأعلام والأماكن والمواضيع الواردة في التاريخ حتى أسماء المؤلفات والمؤلفين الذين ورد ذكرهم في الهوامش .

ولقد رأى الدكتور حتي ان تاريخ سورية على شدة أهميته لفهم كثير من مشاكل العصر الحاضر ولمعرفة مصادر حضارة الأمم الغربية لم تدون حوادثه وتطوراته، ولم تعالج مواضيعه ونواحيه المختلفة في مجلد واحد، بالرغم من وجود عشرات المؤلفات عن تاريخ كل فترة منه وعن كل شعب من شعوبه وكل ناحية من نواحيه . فقام ينسق هذه المعلومات وينقدها ويأخذ المناسب منها وينسج منها تاريخاً موحداً متسلسلاً لسورية ضمن حدودها الطبيعية وفي مختلف عصورها . ولقد نجح بعرضه للحوادث ووصفه لنواحي الحياة بلغة سهلة واضحة وبعبارات بعيدة عن التعقيد والابهـام . ومما يلفت النظر روايته المبسطة لتاريخ سورية القديم بالرغم مما فيه من مشكلات تاريخية وغموض في بعض النواحي . فهو يروي بدون أن يدخل في مناقشات تثقل الموضوع وتعقده، على أنه يشير الى المراجع

الأصلية والحديثة في الهوامش لمن يريد زيادة البحث والاطلاع . والكتاب يقع في أكثر من سبعمائة صفحة عدا الفهارس ويقسم خمسة أقسام . ففي القسم الأول يصف جغرافية سورية وطبقاتها وتاريخها في العصور الحجرية . وفي القسم الثاني يتناول تاريخ الأقوام السامية التي استوطنت سورية وعلاقاتها بالدول المجاورة حتى نهاية العصر الفارسي ، ثم في القسم الثالث يتناول العصر اليوناني الروماني وظهور النصرانية ودول العرب قبل الاسلام . وهذه الأقسام الثلاثة التي تحوي تاريخ سورية القديم تؤلف القسم الأكبر من الكتاب وتقع في أربعمائة صفحة . ثم في القسم الرابع يتناول تاريخ سورية في زمن الحكم العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني ويتضمن نحو ٢١٠ صفحة . والقسم الخامس والأخير يبدأ بالحكم العثماني وينتهي في مطلع النهضة القومية العربية الحديثة ويحوي نحو خمسين صفحة ، فهو جانب لم يوفه المؤلف حقه وكنا نتمنى ان يوصل تاريخ سورية الى العصر الحاضر وان يتكلم عن مراحل الحكم العثماني في هذه البلاد بنفس التفصيل الذي تكلم فيه عن سورية في العصر اليوناني الروماني أو العصر العربي ؛ على انه يقول ان هذه المرحلة الأخيرة من حياة البلاد تحتاج الى من يضع تاريخها ولا ندري اذا كان سيتحفنا يوماً بهذا التاريخ . وفيما سوى هذه الناحية وكذلك مجاراته في بعض الأحيان لآراء مؤرخي الافرنج في أمور تتعلق بأخلاق السكان مثل الآراء التي أوردها عن سكان انطاكية وأخلاقهم (ص ٣٠٢) وكان قد أوردها الألماني مومسن والانكليزي جبن — أقول فيما سوى هذه الأمور فإن الكتاب هو حقاً تحفة رائعة من العلم وحسن التنسيق والاحاطة مع جمال وبساطة في الأسلوب وغزارة في الوسائل الايضاحية . وهو مأثرة اخرى تضم الى سائر مآثر الدكتور حتي الذي عمل في سبيل تعريف شعوب أوربا وأميركا بالعرب وحضارتهم وبالاسلام وتراثه الشيء الكثير وها هو يعرفهم اليوم بسورية والسوريين ومآثرهم خلال العصور .

جورج حداد

وحي الأمومة

مما أجمع عليه أهل الفكر والرأي أن رسالة الأمومة هي أبقى رسالة للمرأة على وجه الدهر ، وكتاب «وحي الأمومة» الذي ألفته السيدة الفاضلة روز عطا الله شحفة سجل حافل بالشواهد على هذه الرسالة الإنسانية الخالدة ، وإذا كانت المؤلفة الحصيفة قد أودعت مؤلفها هذا نفحات قلبها وخواطر نفسها التي فاضت بحنان الأم وإخلاص الزوجة ووعي المرأة الراجحة فإنما كان ذلك منها عن إحساس ومراس ومرانة وعيان .

لقد لمع اسم المؤلفة في أفق النهضة النسائية العربية منذ ربع قرن فكانت من الرائدات السابقات في بلاد الشام إلى إرسال الدعوة وبذل المعونة في سبيل المرأة وتعليمها وتوجيهها وجهة سليمة قوية .

وكتابها هذا بما فيه من حرية الفكر وحرارة القول يخفق بالدعوة الى تقدير المرأة وإنصافها ، فهو جهاد سنين وصور تطور وتحرر ، خرجت فيه المؤلفة من غمار معركة المجتمع كما يخرج البطل المظفر وبيده علم خفاق ، وقد اشتملت صفحات الكتاب على موضوعات منوعة تتصل بحياة البيت والمجتمع ، وتمس الأهداف التي تسعى المرأة الى تحقيقها متعلمة ومثقفة ، وفي مقدمتها اسعاف الانسانية البائسة ، والتخفيف من ويل المحرومين والكادحين ، وهذه المساعي أول ما ينبغي أن يظهر من المرأة الواعية ، فمن أولى منها بالعطف على الانسانية الشقية التي أضلها الجهل والحرمان ، وأصابها التشريد والهوان ؟

وقد أضافت المؤلفة الفاضلة إلى هذا البر الاجتماعي دعوة وطنية خالصة كانت فيها ملحة بالحفاظ على منتوج البلاد ، وما يبقي على حياتها الاقتصادية ، فكانت في هذا المذهب ذات رأي سديد بأن يكون ما تقيمة المرأة في منزلها من بناء الاقتصاد هو الدعامة الأولى لاقتصاد الوطن واستقلاله وكرامته .

وإنه لحق أن نجد منبع الحياة الروحية لكل وطن من المنزل ، وقد ضل السبيل أكثر المصلحين حين جهلوا هذه الناحية أو أغفلوها ، ولقد كان من تعاليم الإغريق والإسلام أن يكون البيت أساس البنيان الوطني الكبير ، فلا عجب اذا دعت مؤلفة « وحي الأمومة » الى الاقتصاد المنزلي وجعل الأسرة منبعاً للفضائل الروحية والاجتماعية ، فانها أم قبل كل شيء ، ولذلك كانت موفقة في تسمية كتابها الذي نمّ عليها ، وكان وحيه داعياً الى نشاطها المعهود .

وما أعجب بشيء مثل إعجابي بالمؤلفات والمؤلفين الذين لا يكونون غرباء عن موضوعاتهم وآثارهم ، إذ يجعلونها مرايا صادقة تعكس شخوصهم ونفوسهم وتطبع آراءهم وشعورهم دون تزيد أو تمويه .

وما أمقت شيئاً مثل مقتي لأقلام يكون أصحابها في واد وآثارهم في واد ...
أما صياغة المؤلفة وأداؤها ـ وهل عني مجمعنا العلمي قبل كل شيء بمثل الفصحى ونقد الركاكة وإحكام التعبير ـ فانهما لا يشفان عن صبر على أساليب الأقدمين من كتابنا والمحدثين الذين جروا على غرارهم وجمعوا بين الطرافة والجزالة في التعبير والأداء ، لقد أرسلت المؤلفة قلمها على سجيتها وطاقتها دون أن تطبعه بطابع أدبي أو أسلوبي ، وقد غلب عليها بيان صحافي وخطابي اكتسبته من عنايتها بالصحافة وإيثارها مخاطبة الجمهور ، وهي تشكر وتقدر لما صنعت من أجل جنسها وقومها ، لا سيما وأمثالها قليل في رائدات الجيل الحديث .

(القاهرة) وداد سكاكيني

Miniatures de la Renaissance

تأليف (Anselmo M. Albaredo M. B.) أمين مكتبة الفاتيكان ، ويحتوي هذا الكتاب على (٩٢) صفحة من القطع المتوسط و (٣٣) صورة طبع في مدينة الفاتيكان سنة ١٩٥٠ .

احتفلت مدينة الفاتيكان في السنة الماضية بذكرى مرور خمسمائة عام على انشاء المكتبة البابوية التي أسسها سنة ١٤٥٠ البابا نقولا الخامس ، وكان مولعاً بجمع المخطوطات لا سيما الكتب الدينية ، وقد بذل آلاف الدنانير لمن يأتيه بنسخة آرامية من انجيل متّا . ولم يكن في المقر البابوي لما ارتقى كرسيه الا (٣٥٠) مخطوطة يونانية وعربية وهذا كل ما خلفه له أسلافه خلال عشرة قرون . وقد نشط بدوره بجمع نفائس المخطوطات حتى بلغ عددها في عهده نحو (١٥٠٠) مخطوطة بذل في سبيل اقتنائها جهوداً طيبة وأثماناً مغرية . وهذه المجموعة هي نواة مكتبة الفاتيكان العظيمة التي تحوي اليوم (٦٠٠٠٠) مخطوطة و (٧٠٠٠٠٠) كتابٍ مطبوعٍ و (١٠٠٠٠٠) صورة وخريطة وآلاف الاضبارات والوثائق التاريخية .

وقد نظمت المكتبة البابوية لهذه المناسبة معرضاً فنياً عرضت فيه نفائس مخطوطاتها المصورة بريشة أبرع المصورين خلال خمسمائة عام أي من القرن الثالث عشر الى القرن السابع عشر . وقد وضع المؤلف هذا الدليل ليستعين به الجمهور على تفهم المعروضات ، وصف فيه أهم التصاوير المعروضة وصفاً علمياً دقيقاً وزين كتابه هذا برسوم أروعها . وافتتح الدليل بمقدمة عن تاريخ هذه المكتبة وتطورها . وشرح فيها الغاية من هذا المعرض وفوائده الفنية والثقافية .

جعفر الحسني

مصادر الدراسة الأدبية

وفقاً لمناهج التعليم الرسمية

صفحات الكتاب مع المقدمة والمشتمل ٣٩٢ ، مطبعة دير المخلص ، صيدا ، لبنان

لمؤلف هذا الكتاب السيد يوسف أسعد داغر عدة كتب قيمة بعضها باللغة الفرنسية وبعضها باللغة العربية وقد أورد المؤلف ثبتاً بها في نهاية الكتاب .

والمؤلف أمين دار الكتب اللبنانية وخريج معهد المكتبات في باريز وعضو اللجنة الوطنية اللبنانية للأونسكو . وأعتقد أن كتابه هذا جزء من كتابه : « دليل الأعارب الى علم الكتب وفن المكاتب » .

موضوع الكتاب ايراد مصادر الدراسة الأدبية للمواضيع العامة والشخصيات الأدبية والعلمية المدرجة في كل من مناهج البكالوريا في لبنان وسوريا والعراق ومصر .

يأتي المؤلف بكلمة مختصرة مكثفة في الموضوع العام ثم يورد مصادر دراسته ، وبترجمة موجزة للشخصية الأدبية ثم يورد مصادر دراستها .

وفي الكتاب ١٢٥ بحثاً ، تسعة منها في مواضيع عامة ، والباقي في الشخصيات الأدبية ، وهو يرشد الى عشرين الف مصدر للبحث والدراسة الاديبين .

خطته في الحديث عن الأديب أن يترجم له ترجمة واقعية موضوعية يذكر فيها :

١ — أهم مراحل حياة الأديب . ٢ — مؤلفاته المطبوعة . ٣ — المصادر والمراجع العربية العديدة التي تتعلق به . وتشمل في أوسع الحالات :

آ — المصادر القديمة . ب — مؤلفات خاصة تتعلق بالشخصية الأدبية المقررة . حـ - مؤلفات عامة تناولتها بالبحث . د — مقالات المجلات العربية مأخوذة من ١٢٥ مجموعة مختلفة .

ويتبيّن من هذا أن الكتاب جليل الفائدة للباحثين والأدباء والأساتذة والمدرّسين وطلاب الجامعة والطلاب المجدّين من المدارس الثانوية فهو يرشد

الى المراجع الضرورية ويعوّد الطلاب المطالعة والاعتماد على أنفسهم وتكوين رأيهم الشخصي بالبحث والتنقيب ، وندرك زيادة فائدته اذا لاحظنا النقص في مكاتبنا من ناحية إهمالها الفهارس التفصيلية لمواضيع الكتب والمجلات وإدراجها ضمن ثبوت المراجع الخاصة بأشخاصها أو بحوثها . ومن محسناته تقديمه بعض الأبحاث العامة ملخصة تلخيصاً جيداً كأبحاث الاعتزال والصوفية والموشحات وما شاكلها .

وقد قدّم له صاحبه بمقدّمة مستفيضة بيّن فيها فائدة المطالعة الشخصية والرجوع الى المصادر الرئيسية في حياة دارس الأدب وضرر الطريقة التلقينية في قتل المواهب الشخصية والملكات الأدبية والعلمية .

ولنا على خطة التأليف الملاحظات الآتية :

١ً — اقتصر المؤلف على ذكر المطبوع من آثار الأديب وحبذا لو ذكر المهمّ من غير المطبوع أيضاً ، لا سيا وأنه لم يخصصه لطلاب المدارس الثانوية فقط بل جعله مرجعاً للأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعات أيضاً .

٢ً — لم يذكر المراجع غير العربية التي تتعلق بالأديب أو الموضوع العام مع شدة حاجة المدرسين وطلاب الجامعات إليها ، وعذره في هذا رغبته في اخراج الكتاب بسرعة ليستفيد منه مطالعوه ، وأنه لم يتنه من إعدادها وسيتداركها بعد .

٣ً — عدم استقصائه جميع الكتب الأدبية التي صدرت حديثاً ولا سيما المدرسية منها ولعل هذا راجع إلى أن مؤلفيها لم يقدّموا نسخاً منها الى دار الكتب اللبنانية .

٤ً — يظهر أنه اعتمد على المنهاج السوري القديم بعض الاعتماد فقد ذكر أبا نواس مثلاً في منهاج البكالوريا السوري وليس موجوداً في المنهاج الحالي بل في المنهاج القديم وكذلك الشأن في ابن رشد ، وعدّ امرأ القيس وطرفة والأعشى والخنساء وغيرهم في منهاج البكالوريا وليسوا كذلك بل هم في منهاج

الصف الخامس ولعلّ عذره في هذا أنه عدّ الدراسة الأدبية في مختلف الصفوف الثانوية حلقة واحدة ، ولم يذكر أن المنفلوطي موجود في المنهاج السوري مع وجوده فيه ، وكذلك الشأن في قاسم أمين وربما في غيره أيضاً ...

ومن الهنات التي وقعت في الكتاب ذكر كتب الزوزني والسيوطي بين الكتب الحديثة التي اعتمدها المؤلف ، كان ينبغي ذكرها في مكانها بين الكتب القديمة ، ومنها ذكره أن خالد بن يزيد هو حكيم آل مروان ، وهو في الحقيقة حكيم بني أمية لا بني مروان خاصة لأنه ليس منهم بل من آل أبي سفيان ، ومنها إدراجه ابن المقفع في الدور الثاني العباسي مع أنه في طليعة الدور الأول العباسي ، ومنها قوله عن الشريف الرضي : إنه يتفرّد بالرثاء وليس الأمر كذلك .

ويظهر فرق جليّ بين أسلوب المقدمة وأسلوب تراجم الشخصيات والأبحاث العامة فهذا الأخير سهل صحيح واضح ولكن أسلوب المقدّمة لا يخلو من الإبهام والتعقيد وانه أقرب الى الأسلوب الغربي منه الى الأسلوب العربي (مثال ذلك ص ج من المقدمة من قوله : وهكذا حتى قوله لم يستكمل أداتها) ، ويرجع كثير من هذا الى نقص حروف العطف بين الجمل (مثال ذلك ص ه س ٢ قبل قوله توخّوا فوضع الواو هنا ضروري) وإلى تعدية الفعل غير المتعدي مع ضرورة ذكر حرف الجرّ (مثال ذلك المقدمة ص و س ١٠ فينبغي وضع ببحثٍ مستقل مكان : بحثاً مستقلاً) .

وقد وقع خطأ في ترتيب الصفحات نشأ عنه تشويش واضطراب في الكتاب فجاءت مصادر ومراجع الأعشى مثلاً بعد ترجمة عنترة ومراجع عنترة بعد زهير ومصادر المعلقات بعد ترجمة الأعشى وهكذا ...

وقد وقع في الكتاب من الخطأ المطبعي شيء ليس بالقليل ونرجو أن يتلافاه صاحبه في الطبعة الثانية ، كما جاء فيه بعض الخطأ اللغوي والنحوي وأعتقد

أنه يرجع الى السرعة في طبع الكتاب والى عدم تصحيح الخطأ المطبعي نفسه (مثال ذلك استعمال المؤلف ظهّرها مكان أظهرها ص أ ، ويغمرها مكان يدعمها ص ج س ٧ ، والتقريرية الجافة مكان التقرير الجاف ص د س ١١ ، واليه مكان اليها ص ح س ١٣ ، والتفكيك مكان التفكّك ص ل السطر الاخير ، والتعلمية مكان التعليمية ص م س ١ ، والتطوير مكان التطور ص ن س ١ ، وينشد للعلم مكان ينشد العلم ص ن س ٣ ، وترك جملة كذلك يبدو ص م س ١ ناقصة المعنى تحتاج الى تكملة .

وهذه الهنات ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى الجهود الطيبة التي قام بها المؤلف في هذا الكتاب وسدّه فراغاً كبيراً في المكتبة العربية والدراسة الأدبية فإليه أقدّم خالص تهنئتي وشكري .

نعيم الحمصي

المجموعة الاقتصادية السنوية

لغرفة تجارة حلب

أصدرت غرفة تجارة حلب : (المجموعة الاقتصادية السنوية) لعام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) . وهذه المجموعة السنوية ، قد اعتادت الغرفة على إصدارها ، منذ اثنين وثلاثين عاماً ، وهي سنة حسنة ، لأن فيهـا فوائد جزيلة ، اذ توضح كثيراً من الأعمال الاقتصادية السورية ، وتدعمها بالأرقام .

وقد صدّرت هذه المجموعة بكلمة من وزير الاقتصادالوطني ، قال فيها : « لا بد من ايجاد سياسة اقتصادية انشائية قوية وثابتة ، ولا بد من تعاون وثيق بين الشعب والحكومة في الميادين المذكورة » .

وانه يرى :

«أن واجب الحكومة تشجيع تأليف مثل هذه المنظمات وتعزيزها ، ليتسنى لها القيام بما تتطلبه منها اقتصاديات البلاد في مراحلها المختلفة» .

وهي كلمة طيبة نرجو تنفيذها .

وللأستاذ محمد سعيد الزعيم ، نائب رئيس الغرفة ، تقرير ضافٍ عن : (الأحوال الاقتصادية العامة في سورية) بحث فيه عن التجارة والعلاقات التجارية مع الخارج ، والعلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية ، والحالة الاقتصادية بين سورية ولبنان ، وتطرق الى البحث عن هيكل الاقتصاد السوري ، والصناعة السورية ، وما تنتجه معامل الغزل والنسيج والاسمنت ، وحاجتنا الى بعض المعامل ، لتصبح صناعتنا قوية ، ثم بحث عن الزراعة والتوسع الزراعي ، وما يرجى للبلاد من ازدهار الزراعة ، وخاصة بعد ان انتشرت زراعة القطن في شمالي سورية : ونجحت زراعته ، وارتفعت أسعاره كثيراً ، حتى أصبحت مغرية للزارع ، وان الزراعة في حاجة الى آلات وأموال ، ثم ذكر مرفأ اللاذقية ، وفائدته على البلاد ، وهو بمجموعه تقرير حسن .

وقد تعرضت هذه المجموعة للمفاوضات بين سورية ولبنان ، وسردت اسماء تجار حلب ، وبحثت في التجارة العامة ، والودائع والسلف والنقد المتداول ، والأسعار في حلب ، وآراء الغرف التجارية العربية ، والقوة المحركة والوقود ، وشبكة البترول في الشرق الأوسط ، وزيارة المغتربين السوريين واللبنانيين الى حلب ، والمشاريع والأعمال الصحية ، والأشغال العامة في حلب والشركات فيها ، والخطوط الحديدية الشمالية ، والصلة بين التجار والحكومة ، والتجارة بين سورية وتركيا .

وصفوة القول : ان هذه المجموعة هي مفيدة ، وان التجدد الذي تدخله الغرفة التجارية الحلبية عليها ، بين سنة وأخرى ، يوجب التقدير والشكر .

منير الشريف

آراء وأنباء

استقبال عضو عامل جديد

عقد المجمع العلمي العربي جلسة ـ ا ١٧ أيار سنة ١٩٥١ والموافق لـ ١١ شعبان سنة ١٣٧٠ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور منير العجلاني . وقد رحب به الأستاذ شفيق جبري بكلمة نوّه بها بنشاطه الأدبي ، فرد عليه الدكتور العجلاني شاكراً للمجمع انتخابه عضواً عاملاً ، ومترجماً لسلفه المرحوم الشيخ عبد القادر المبارك . وفيما يلي الكلمتان المشار اليهما :

كلمة الأستاذ شفيق جبري

سيدي معالي الأستاذ الرئيس .

سادتي الأساتذة .

سيدي معالي الزميل الكريم .

وددت لو عهد مجمعنا الى غيري من رجاله أن يقدمك وما خطر ببالي هذا الخاطر الا بسبب الصداقة التي استحكمت أواصرها بيني وبينك من عشرين سنة فاني أخاف اذا قدمتك أن تظهر آثار هذه الصداقة على تقديمي ولماذا أخاف هذا الخوف ، أفلا أجد من صفات شخصيتك وأدبك ما يمهد لي سبيلاً الى الكلام دون ان يُحسب للصداقة حساب وعلى ما به اني اشرع في تقديمك بحسب ما عرفت من هذه الشخصية وهذا الأدب دون شيء من الخوف .

أما شخصيتك وأرجو أن يغضي مجمعنا على استعمال هذا اللفظ ، فالذي جوز لأبي الفرج الاصبهاني ان يستعمل الأستاذية ولامامنا الجاحظ أن يستعمل النارية

يجوز لنا أن نستعمل الشخصية ، أما شخصيتك يا سيدي فما أظن ان العشرين السنة التي قضيتها في صداقتك مكنتني من الاحاطة بها ، فقد كنتُ في خلال هذه السنين الطويلة أشعر اذا جمعتنا المجامع باني بمحضر من لغز من الألغاز ؛ كنت أشعر باني ، اذا كنت لا تستهجن هذا التشبيه ، بمحضر من صندوق مقفل ولكنه صندوق مطلي بالذهب ، مرصع بالياقوت يشغلني بريق ذهبه ولمعان ياقوته عن التفكير في معرفة داخله ، كنت اذا حدثتك بحديث أشتهي أن تقع عينك على عيني حتى أعرف مقدار نفوذ هذا الحديث أذنك وقلبك ، كنت تصغي الي بأذنك وكان قلبك يشتغل بأمور ثانية ، وما أظن أنك تنفق دقيقة من دقائق عمرك دون التفكير في شيء واذا لم تشغلك يقظة النهار عن هذا التفكير فلم يشغلك عنه نوم الليل ، قد يظنك الانسان مغفياً ولكن اغفاءك لفكرة من الفكر فان لك ذهناً وقاداً يظهر نشاط الحياة على كل ناحية من نواحيه والعهد بيني وبين هذا الذهن ليس ببعيد ، أفلا تذكر لما كنا من سنتين في بيروت نسمع أقوال الذين يردون على العرب في اعتراضهم على دخول اليهود هذا المؤتمر الذي سموه « الاونيسكو » كنت أصعد النظر وأصوبه في الخطباء الانكليز والاميركان وأستمع الى أقوالهم ويشغلني الاستماع عن كل فكرة وكنت الى جانبي لا تنظر الى واحد منهم ولكنك كنت تلهو بورقة أمامك بيضاء تحشد ذهنك وتجمع فكرك حتى تطلع على الخطباء بأقوال بديعة اذا هي لم تنجح في جمهور القوم فقد نجحت في نفسك لأنك أرضيت بها فكرك وشعورك وعاطفتك حتى لا يعتب عليك هذا الفكر الوهاج وهذا الشعور اليقظ وهذه العاطفة اللاهبة وما أحسست بجرأتك على الكلام مقدار احساسي بهذه الجرأة في « الاونيسكو » فاللغة التي تكلمت بها لم تكن لغتك ومع هذا لم تبال بالأمر وهذا شأنك في أول دخولك مجلس النواب من خمسة عشر عاماً ، يخطب الخطيب الذي لا يجمع بينك وبينه حزب من الأحزاب أو مبدأ من المبادئ فتلهو في غضون خطبته

بورقة في يدك أو بقلم ويظن جليسك أنك مغف حتى اذا فرغ الخطيب من خطبته وسمعت في هذه الخطبة ما لا يرضيك نهضت من إغفائك الظاهر وانقضضت على المنبر ولئن لم يكن لك على هذا المنبر زئير الأسد أو هدير الموج فقد كان لك عليه عندلة العندليب ، فما غردت الا سحرت النواب بأغاريدك ولست أدري ما الذي حملك على الانقطاع عن هذا التغريد في مجالسك اليوم .

وكما كنت اذا حدثتك بحديث أشتهي ان أعرف مقدار صلة قلبك بهذا الحديث كذلك كنت اذا أغضبتك او أرضيتك بلفظ من الألفاظ أشتهي أن أحيط بمبلغ هذا الغضب وهذا الرضى ، فعبثاً كنت أحاول هذه المحاولة فقد رزقك الله تعالى مناعة في ظاهرك دفعت عنك كل بلاء ، رزقك الله وداعة في خُلُقك تشغل صاحبك عن النظر في معرفة ما وراء هذه الوداعة وأعطاك رقة في قلبك تلهي صديقك عن الاهتمام بما بعد هذه الرقة ، فكنت اذا أرضيتك أو أغضبتك لا أرى بعد هذا الارضاء وبعد هذا الاغضاب الا الوداعة والرقة فاقتصرت على هذا الظاهر ولن أجهد نفسي في معرفة الباطن ونعمت بصحبتك عشرين سنة كما ينعم الناظر الى صندوق مذهّب مرصّع ، بذهبه وترصيعه .

ولماذا نشغل أذهاننا بمعرفة البواطن اذا كنا ننعم بالظواهر ، لماذا هذه الفلسفة المتعبة في الحياة ، لماذا لا نأخذ من الأمور صفاءها وحده اذا كان لنا في هذا الصفاء ما يرضي ذوقنا وشعورنا .

لقد اخذت منك يا سيدي صفاء الظواهر ولم أتعب ذهني بالوقوف على البواطن وأظن أن أكثر أصدقائك نعموا مثلي بفتنتك ولكني أعتقد أن نعيمي بها كان أشد من نعيمهم فقد كانت الصداقة بيننا تشتد حيناً وتفتر حينا ولكنها كانت صافية في الشدة والفتور ، فاستمرت في طبيعتها وما السر في هذا الاستمرار الا رقتك التي تدفع عنك غضب الغاضبين والا النعمة التي كنت أنعم بها في هذه الرقة ثم دارت بنا الأيام دورتها واذا بنا يجمعنا هذا المجمع فنطرح فيه أثقالنا فما نبالي

بعد اليوم بالظواهر والبواطن وانما يهمنا أمر واحد وهو الأدب الذي ناسب بيننا معاشر رجال المجمع ، فجئنا نذوق لذته ونعيش بنعمته ونفخر بسلطانه .

ولئن شعرت بعجزي عن معرفة شخصيتك فهل أشعر بمثل هذا العجز عن معرفة أدبك .

من حسن الاتفاق أن أستقبلك في مجمعنا في شهر أيّار في غمرة الربيع فاني أرىٰ بين الربيع وبين أدبك صلة قوية ونسبة شديدة ، هذه أوراقك يا سيدي بين يدي لم أطرحها إلا قبل بضع ساعات ، كنت أطالع هذه الأوراق في أواخر الصيف الماضي في كوخي في بلودان وفي جوار هذا الكوخ فلاح من أهل القرية يربي النحل في بيته ، كنت ألهو برؤية هذه النحل كل يوم ، كنت ألهو بها في الصباح اذا طارت تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون و كنت ألهو بها في الظهيرة اذا أكلت من كل الثمرات ثم دوّت حول خلاياها وكم كنت أقول في نفسي : ما أشبه أدبك يا سيدي بهذه النحل ، تطوف النحل فتقف على شجر التفاح أو المِشمِش أو الإجّاص او السفرجل ثم تعلو فتصعد في الجبال فتجني من زهر الجرود ثم تعود الى خلاياها فيكون العسل خاتمة المطاف .

وهكذا أدبك يا سيدي ما فيه إلا أزاهير وأثمار وعسل فكأن هذه الرقة التي اختصك الله بها انعكست على أدبك في أوراقك فتحولت الى زهر وثمر وعسل فكنتُ اذا تفيأتُ هذه الأوراق واستظللت بظلال غصونها وضربت بعيني في الجداول التي تجري من تحتها وفي التعاشيب التي تنبسط من حولها أشعر بهذه الرقة في كل ورقة من الأوراق وفي كل غصن من الأغصان وفي كل عشب من الأعشاب .

ولكني لما وجدت شبهاً بين أدبك في أوراقك وبين النحل لم أجد الشبه في الشهد وحده ، انك تعلم يا سيدي ان للنحل ابراً وما أظن ان أدبك خلا من أشباه هذه الإبر .

لقد باركت لي في قصيدتي «نجوى آدم» من عشرين عاماً وقلت : ان في الأفق الأحمر خيوطاً ذهبية تبشر بالفجر الرائع ثم قلت فيَّ اني أعلنت اني ثرت على تقاليد الشعراء فما عدت أحل في المكان الأسمى لا المدح ولا الرثاء ولا الحكمة ولا النكتة ولكني أصف الجمال حيث وجدته وستكون قصائدي صوراً كاملة مثل صور الرسام وقطع الموسيقى ٠

لقد أبطأت عليك يا سيدي في الشكر ومن قلة وفائي أن لا أشكر لك هذه المباركة الا بعد عشرين عاماً لقد كان في كلامك شهد مثل شهد النحل ولكنا لم نصل الى هذا الشهد الا بعد أن غمس فينا صاحبه ابراً مثل ابر النحل نحمد الله تعالى على ان ابرك ممزوجة بالعسل فهي لا تشبه ابر العقارب الممزوجة بالسمّ الزُّعاف ، انك لا تلسع لسعاً ولكنك تقرُص قرص النحل وهذا ما يزيد في محبتك الى الناس وفي منزلتك منهم ، أنك لا تبطش بطش الجبارين ولا تعصف عصف الرياح العاتية ولكنك تحف حفيف الورق وتنسم نسيم الصَّبا ، فأنت رقيق في غضبك ورضاك ، في فرحك وحزنك ، في انقباضك وانبساطك ٠

وكأني بك تقول وما هي الابر التي غمستها فيك لما ذكرت قولي الذي ذكرته انك يا سيدي لم تغمس ابرك فيَّ وانما غمستها في المتقدمين ٠

انك تعلم يا سيدي باني مولع بأولئك المتقدمين ، فعلى الرغم من اطلاعي على يسير من أدب الغرب وعلى الرغم من شغفي بهذا اليسير منه لا أُعق الذين أورثوني أدبهم ولغتهم فلولا هذا الميراث الضخم ما كنا شيئاً في العالم لولا هذا الميراث الذي انتقل الينا من الجاهلية والاسلام ثم من بني أمية وبني العباس ما كان للعرب شأن في هذا الدهر فلا تعتُب عليَّ اذا أولعت ببعض أدب القدماء ولا تلمني اذا كنت أدافع عن بعض مدحهم ورثائهم وحكمتهم ونكتتهم ٠

اني يا سيدي لا أرى في المدح فناً باطلاً اني اذا قرأت أماديح المتنبي في سيف الدولة لا أشغل ذهني بسيف الدولة نفسه وانما أشغله بالبطولة التي صورها

المتنبي فأبو الطيب في أماديحه كان يصوّر البطولة في أروع صورها وأكمل أشكالها وأتم صفاتها ثم يفتش له عن بطل يفرغ فيه هذه الصور وهذه الأشكال وهذه الصفات ، فالبطل الذي وجده في عصره انما هو سيف الدولة فما كانت أماديح المتنبي الا المثل الأعلى في البطولة وما أظن أنك تنكر شيئاً من هذا المثل الأعلى لقد كانت أماديحه درساً في الأخلاق فان أخلاقنا في حاجة الى البطولة في كل حين وخاصة في هذه الساعات .

أظن أنك تستغرب قولي وتستنعد للانقضاض علي استعدادك للانقضاض على خصمك في مجلس النواب وقد كنت خفت هذا الأمر منك ثم أمنني من أن أخافه رجوعك عن رأيك او تعديلك لهذا الرأي فقد قلت : وليس يجب علينا اذا أعجبنا بلون من العبقريات الغربية ان ننتقص عبقرياتنا الوطنية ونرميها بالسُخف والجمود بل يجب علينا أن نعجب بالصورة البارعة مهما يكن أسلوبها والى أية مدرسة ينتمي صاحبها .

عندنا صور بارعة ولكنها لا تنتمي الى المدرسة اليونانية التي يُكبِرها بعض متأدبينا تقليداً لأدباء غربيين ... فهل نرمي بها بالبحر اكراماً لعيون المقلدين المجددين .

نحن أنصار الجديد لا نصير له أكثر حماسة منا ولكننا لسنا أعداء لعبقرية العرب ونحن مؤمنون بما آمن به «غوتي» من قبل ، ومؤمنون بأن أوفر الناس حظاً من الانسانية هو الذي يحسن الافادة من عبقرية وطنه .

لا ريب يا سيدي في أن ذكري لهذا الكلام البارع الذي عدلت به رأيك يدخل الفرح على قلوب الذين يتلقونك في هذا المساء فهم على ما أظن مثلي لا يريدون أن ينقلبوا على المتقدمين ، ان مجمعنا يعيش بالماضي وبالحاضر ولا يجوز له ان يقتصر على واحد منهما فثق يا سيدي باني بعد قولك الكريم وكلامك الطيب لا أفرط في عتابك ، اني أغلق باب العتاب وأعود الى عسلك المصفى والى ابرك الحلوة .

اعذرني اذا كنت لا أترك اوراقك ، هذه الأوراق التي تضمنت أفكاراً تنكرها اليوم واساليب تعافها ، هذه الأوراق التي اردت ان يسموها اوراق الخريف حتى تتعرى منها كما يتعرى الشجر ولكنك لن تتعرى منها ولن تستطيع ان تتعرى الا اذا استطعت ان تتعرى من قلبك وروحك فهي تلازمك كما يلازمك ظلك ، قد تتبدل افكارك ويزيد علمك وتمتد ثقافتك ولكن روحك واحدة في اوراقك ، سواء أسميتها اوراق الخريف ام أزاهير الربيع .

وقد ظهرت آثار هذا العلم الزائد وهذه الثقافة المديدة على كتابك الجليل عبقرية الاسلام في أصول الحكم فانك لما رأيت كما قلت ياسيدي في هـذا الكتاب نفراً من المستشرقين يزعمون ان العرب المسلمين خرجوا من البادية لا يعرفون ادارة ولا نظاماً فلما استقروا في الشام والعراق ومصر أخذوا عن شعوب هذه البلاد نظمها الادارية والمالية والقضائية بل أخذوا معها حتى الموظفين الذين يقومون عليها لأن العرب كانوا رجال حرب وما كانوا يصلحون الا للحرب لما رأيت هذه المزاعم قلت في صدر كتابك : هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي ذلك اني التمست جواباً عليهـا مقنعاً في الكتب التي تتداولها الأيدي في هذا الفن فلم أجده وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير .

انك ياسيدي لم تظهر في كتابك الجليل عبقرية الاسلام وحدها وانما أظهرت عبقريتك ، واذا كنت تجتزىء مني بهذه العبارة في تعريف كتابك عبقرية الاسلام في أصول الحكم أو في التنبيه على قدر هذا الكتاب فدعني أرجع الى روحك فهي واحدة في أوراقك سواء اسميتها اوراق الخريف أم سميتها عبقرية الاسلام في أصول الحكم .

لقد منحك الله ياسيدي قدرة على نوع من تنسيق الكلام لم يمنحه الا قليلاً من الكتاب واني أحار في اسم هذا النوع من التنسيق ، انك تندفع في الكلام

على رجل الدولة بوجه عام فتعرفه وتصفه وتحصي ما يفتقر اليه من علم او خطابة او استقامة او كتمان او شجاعة او اناة او تجرد من الهوي او معرفة بالرجال هذا كله يمليه عليك علمك وثقافتك وقد تهتدي في هذا اليوم الى صفات ثانية أكثر من الصفات التي ذكرتها ولكنك لا تهتدي الى شيء أكثر مما أوحاه اليك قلبك انك لا تستطيع ان تختم مقالك الا بمثل هذه العبارة :

« أيها السياسي لا يكن همك ان يقدرك الشعب وليكن همك أن تحسن ليقدرك خالق الشعب » .

لقد تنتقل من الكلام على رجل الدولة بوجه عام الى الكلام على أحد رجال الدولة واني لأشعر بأنك لا تريد أن اسميه وأنا اشاركك في هذا الشعور وأطوي مقالك فيه حرمة للموتى ولكني أستأذنك في ذكر عبارة منه وهي العبارة التي تدل على طرز روحك في أدبك ، أرجو ان تسمح لي بأن أقول لاخوانك في المجمع ان هذا المقال ينتهي بهذه العبارة :

« فاذا جاء وطني الى الحكم بعد اليوم فليذكر انه ملك الدولة وان الدولة ليست ملكا له » .

بمثل هذه الروح خفّ أدبك على القلوب فاستلذته واستطابته وثق يا سيدي بأني أول المستلذين المستطيبين وكم كنت أود لو ثبتنا على الصحافة في الجرائد التي تعاونا على انشائها وما أتمنى ما تمنيت الا لأمر واحد ، لهذه الخفة في أدبك وأسلوبك واظن انك آسف في أعماق قلبك على ترك الصحافة وانك ذاكر قول احد رجال فرنسة « الصحافة أكبر من كل وزارة » .

انك يا سيدي في ترك الصحافة حيناً وفي التفكير في الرجوع اليها حيناً آخر حملتني على ان اقول انك لم تشبه النحل في أدبك وحده ، وانما اشبهتها في حياتك كلها ، فكما ترى النحل مولعة بالانتقال من شجرة الى شجرة ومن ثمرة الى ثمرة فكذلك رآك الناس مولعاً بحب هذا الانتقال في حياتك كلها آخذاً بقول « فيكتور هوغو » في بعض كتبه :

انك لا تمدح الرجل اذا قلت فيه ان رأيه في السياسة لم يتغير من أربعين سنة ، معنى هذا انه لم يستفد تجربة في أيامه ولا قلب فكره في الأمور ، اذا مدحت رجلاً على هذا الشكل فكأنك تمدح الماء الراكد او الشجرة الميتة ، كل شيء يتغير في الرأي فلا شيء مطلق في أمور السياسة ما خلا الناحية الأدبية الباطنة في هذه الأمور وهذه الناحية انما هي مسألة ضمير لا مسألة رأي فمن الممكن ان يغير الانسان آراءه دون أن يثلم شرفه ، على شرط ان لا يتغير ضميره وسواء أكانت الحركة الى الأمام أم كانت الى الوراء انها حيوية انسانية اجتماعية .

المخجل ان يغير الرجل رأيه لمنفعة ، المخجل أن ينتقل الانسان فجأة من الأبيض الى الأسود سواء أكان الدافع الى هذا الانتقال درهماً أم كان ديناراً .

لم تكن يا سيدي في سياستك ماء راكداً ولا شجرة ميتة انك مولع بالحركة ، لأنك وجدت فيها مظاهر الحياة والانسانية والاجتماع واذا انتقلت فجأة من فكرة الى فكرة في سياستك فلم يتغير ضميرك في هذا الانتقال ويشهد الله ان الناحية الأدبية الباطنة في أمورك لم تثلم ، فقد كنت في حياتك وسياستك ووزارتك عفيف اليد ، عفيف القلب ، ولم تجتمع هذه العفة لكثير من الناس !

ما لنا وللسياسة .

ما لنا وللوزارات .

سادتي أساتذة المجمع !

لقد دوّت في خليتكم نحلة جديدة ، فالعقوا عسلها وعوذوا بالله من إبرتها .

شفيق جبري

كلمة الدكتور منير العجلاني

سيدي معالي الرئيس الجليل ، صاحب المجمع ، سادتي الأجلاء

ما أخطأ العميد شفيق بك جبري التشبيه ولا ظلمني ، ولكنه أصاب وأنصفني ، فأنا نحلة ٠٠٠ نحلة طوفت في السهول والحقول ، والرياض والغياض ، تطلب الزهر النديان والعشب الريان ، لتحمل منها ، جنى طيباً ، الى أمراء ينتظرونها في مملكة الخالدين ، نحلة لم تنس موعدها ولم تخن سيدها ؛ ولكنها تكثرت ، فتأخرت ؛ بدأت كتاباً في التاريخ أسمته «علي ومعاوية» وبدأت كتاباً آخر في القصص أسمته «المطلقة» وبدأت كتاباً ثالثاً في السياسة أسمته «الفقه الدستوري» يقع في ازيد من ألفي صفحة : كتب ثلاثة كانت ترجو ان الحاجب الواقف على بابكم يعرفها بها ، فيدخلها عليكم موفورة الكرامة ، ولكنها ادركت بأخرة سوء فكرها ، فجاءت اليكم بضعفها وبفقرها ، كما جاءت الهدهدة الى سليمان : هديتها على مقدارها ، لأنه ليس في الدنيا هدية على مقداركم .

سادتي ،

من هذه المدينة ، خرجت طلائع المجد التي فتحت اسبانيا وصنعت معجزة الأندلس ، من هنا طار صقر قريش ، من هنا خرج القادة والسادة ، والعلماء والفقهاء ، والشعراء والأدباء ، والصناع والفلاحون ، يحملون مشعل الحضارة العربية الى الغرب الغارق في الجهالة والضلالة ، فاذا جاءت الى بلادنا بيوتات كريمة من المغرب ، فانها لا تفد علينا جالية أجنبية ، وانما هو المغترب يرجع الى الوطن ، بل الطير يعود الى عشه الأول ، تسوقه غريزة لا تخطئ .

منذ مئة وعشرة أعوام ، استقبلت دمشق قبضة من أشراف الجزائر وعلمائها ، فروا من الوطن الى الوطن ، وكان جد فقيدنا الكبير في مقدمة هؤلاء النازحين

أو العائدين الذين توارثوا العلم والفضل كابراً عن كابر ، وقد ولد له ولد أسماه « محمد » علّمه فأحسن تعليمه ، فكان عالماً أديباً متديناً زاهداً ، يقبل الناس على دروسه اقبالاً منقطع النظير ، وولد فقيدنا من محمد هذا ، رحمها الله ، وقد سمي عبد القادر ، تيمناً بالأمير عبد القادر الجزائري ، وكان أبوه راضياً عنه ، معجباً بذكائه وخلقه وجده ، وهو الذي علمه مبادئ اللغة والدين ، ونشأه تنشئة صالحة ، ثم أرسله الى المدرسة الرشدية العسكرية فلم يلبث فيها الا قليلاً ، ثم عاد يقرأ على أكابر الشيوخ التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ، وبرع في كل أولئك ، ولكنه آثر الاختصاص باللغة ، وأدرك أبوه ذلك فطلب منه التوفر على شرح مقصورة ابن دريد ، ففعل ، وفي عام ١٩١٠ أقامت الحكومة مسابقة لاختيار أستاذ لتدريس اللغة العربية في المدرسة السلطانية بدمشق ، ففاز فقيدنا فوزاً مبيناً ، وبقي أستاذاً للغة في هذه المدرسة نحواً من ثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنها الا مدة يسيرة ، درس خلالها في المدرسة الحربية وفي مدرسة الأدب العليا ثم درس في دار المعلمين العليا ، وتذكر لنا مقالة نشرتها مجلة المجمع انه انتخب عضواً في لجنة التعريب (التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الادارية والعسكرية وغيرها ، وانه كان من أجل أعضاء المجمع وأقدمهم ، رافق المجمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله .. واشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب .. وكانت اللغة أبرز نواحي الشيخ .. فقد شغف بدراستها منذ حداثته واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار ، وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة ، وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق ، فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم ، فكان حجة في هذا الباب ، فلا تكاد تسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيها من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها وبمناسبتها من النوادر الأخرى ، ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً ، السيرة

وتراجم الرجال ، فكان راوية حافظاً للأخبار والتراجم ، كثير الولوع بمطالعة كتب التاريخ والتراجم ، حتى يكاد يعرف ما ورد في ثناياها من الطرف والأخبار ، أمثال وفيات الأعيان ومروج الذهب وابن عساكر) الخ ..

سادتي ،

ذلك ما كتبته مجلة المجمع ، وهو قول حق ، فقد كان أستاذنا الكبير من أعلم الناس بفقه اللغة ، ومن أحفظهم لشواهدها وشواردها ، لا يمل طلبها في مظانها ، ثم لا يمل تأديتها الى جمهور طلابه واخوانه ، كان زنجي اللغة ، وأسألكم العفو عن هذا التعبير أصف به سيداً حلاحلاً ، انما أحيي بذلك وصفاً لابن عبدون ، وجدته في رسالة الرقيق ، قال : لو وقع الزنجي من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بايقاع .

أفعرفتم وصفاً أبلغ في الدلالة على غلبة الصنعة ، تغلغلت في كل ذرة من ذرات الجسم ، وعلى قوة الطبع ، يبرز في كل حركة من حركات النفس ؟ كذلك كان فقيدنا الكبير ، لو وقع من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بلفظة يهجيها ، أو كلمة يفسرها ، أو بيت ينشده ، أو مثل يردده ، كان فقه اللغة ، صنع رجلاً .

سألتني مجلة « الأديب » ، يوماً ، من هو الكاتب ؟ فاستعرت لها كلمة منذر ابن واصل ، قيل له كيف شهوتك الى الأدب ؟ فأجاب : أسمع بالحرف منه لم أسمعه ، فتود أعضائي لو أن لها أسماعاً تتنعم مثلما تنعمت الآذان .

لقد حقق فقيدنا المبارك أمنية ابن واصل ، فكانت أعضاؤه تتنعم بما يلذه من لفظ أو معنى مثلما تتنعم أذناه ، وكان يؤدي هذه الألفاظ والمعاني الى الناس على صورة مخصوصة ، هي : « الصورة المباركية » . كان كلامه الحركة تتكلم ، وكانت حركته الكلام يتحرك ، بل الكلام يرقص ، حضرت بعض مجالسه ،

رحمه الله ، فكنت كمن يرى أمواج البحر تتلاطم ، ولو رأيته ساكتاً صامتاً ، لبقيت له في نفسي صورة البحر المائج .

كان يدرس اللغة في قاعات كبيرة ، بين أيدي طلاب خبثاء ، فجعلته سعة القاعة يتكلم ككبير الصوت ، وجعله خبث الطلاب أشد منهم مكراً ، فان رغبوا عن العلم فقد عرف كيف يرغبهم في العلم ، باسلوب بارع يفتح به مغاليق نفوسهم ، وينشط عقولهم ، وهذا الأسلوب ينتقل به بين نصح الواعظ ، وسخر المضحك ، ونكتة الظريف ، ومنطق العالم ، ولعل سر نجاحه العميق انه كان مؤمناً برسالته ، مبشراً بمعتقداته ، ينزل الى مستوى طلابه ، ولا ينتظر منهم أن يصعدوا الى مستواه . من الأساتيذ من يجلس على المنبر لا يفارقه ، أما المبارك فكان يذرع قاعة الدرس ، شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، كان كل مكان في القاعة مكانه ، ولم يكن مكان في القاعة مكانه ، ولو أن طالباً في أقصى الصف همس في أذن رفيقه همسة ناعمة لسمع لها من فم الأستاذ الجواب الذي يرتضيه التلاميذ كلهم ، ولا يرون جواباً أحلى منه ، وانهم ليتضاحكون له مهما يكن شديداً عليهم ، فقد حببه اليهم انه يحبهم وانه صريح لا حد لصراحته .

ترك لنا الأستاذ المبارك كراسات صغيرة مدرسية ألفها في أول عهده بالتدريس ، ولا يصح في رأيي أن يعول عليها في تقدير مبلغ علمه واطلاعه ، ولكنها تدلنا على ناحية لطيفة في (تحول) أسلوبه فقد كانت كتابته سهلة جداً ، لا أثر للتكلف فيها ، وانك لتطلب فيها اللفظة الغريبة فلا تجدها ، بل ان المبارك ليدعونا هو نفسه الى اطراح التكلف ونبذ الغريب . قال لطلابه في المدرسة الحربية ، يعلمهم واجبات الخطيب : ليكن أول ما يطرق أسماع مخاطبيه لذيذ الألفاظ ومأنوسها لأنها مغناطيس القلوب . وقال لهم في دروس الانشاء الرسمي : «يشترط فيه ان يكون بلغتها الرسمية مع تجنب الكلمات الغريبة والوحشية ،

والعامية والأجنبية ، وان تكون عبارته جزلة ، متينة ، جدية ، صريحة في افادة المرام » .

لقد جنت على فقيدنا الغالي قصيدته القافية المشهورة :

(لم يامهيب الجد هيب الراقي الحسن منظر ثوبه البراق ؟)

وما زال الناس يجدون فيها الدليل على تكلفه وولعه بالغريب . يقول قدامة ابن جعفر ، في كلامه على عيوب اللفظ وحوشي الكلام : « هذا الباب مجوز للقدماء ، ليس من أجل انه حسن ، لكن من شعرائهم من كان اعرابياً قد غلبت عليه العجرفه ، ومست الحاجة الى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب والتكلف ، لما استعمله منه ، لكن بعادته وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع » .

وفي اعتقادي ان المبارك ، رحمه الله ، عاش في دنيا هذا الشعر القديم ، يفسره لتلامذته ، وأصحابه ، ويظهر لهم ما خفي من محاسنه وجعل ذلك ديدنه وهجيراه ، حتى استأنس بغريبه ، فاستعمله في شعره غير متكلف ولا متعجرف .

سادتي ،

كانت اللغة العربية معشوقة المبارك ، ولولا التقى لقلت مع الحريري : معبودته جلت قدرتها ، واني لشديد الحرص على أن أقرأ لكم صفحة نشرتها له مجلة المجمع في عنوان لغة المتنبي ، فان هذه المقالة لا تصف المتنبي ، وانما يصف فيها المبارك نفسه . قال : « أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضري القديم لم يستطع اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيهتدى لي ، فلم أقدر على اللحن

... فالمتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ، وكأنه يقول ، لا بارك الله في الحياة بعد ضياع اللغه . من أجل ذلك رأى ارتكاب ما فيه خطر على حياته أهون من ارتكاب ما فيه خطر على لغته .

... ومن أشباهه في الشنشنة ذلك الأمير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان يكتب باللسان المبين أسماء الأطعمة التي يريدها في رقاع يبعث بها الى طاهيه ، وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فيراجع ابن ابي اسحق الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبله في تلك الرقاع ، فاذا عرف ما فيها من أنواع الأطعمة أتاه به ، وكان من أجل ذلك يبطئ عليه في احضارها فقال له : ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطئ كأنك تريد بابطائك أن تحملني على الصيام .

فقال له الطاهي : سهل كلامك أسهل طعامك .

فقال له سيده : يا ابن اللخناء ، أفأدع عربيتي من أجل عيك !

... لا جرم ان لهؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن يلحن ويتهاون بالاعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب ، كالاعرابي الذي كان يقول :

عجبت للتجار الذين يلحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرهم ، وكالذي سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه ، فقال : لولا القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان .

* * *

هذه هي نظرة المبارك الى اللغة ، كانت عنده معيار عظمة الرجل أو حقارته ، فمن ربح في تجارته أو ساد في امارته ولم يكن يعرف اللغة فانه غني حرب ، على حد التعبير العصري ، لم يتأدب بأدب الفضلاء ولا استحق الثروة التي له ، وينبغي للناس أن يحقروه .

ترك لنا الفقيد كتاباً واحداً ، يصح ان يسمى كتاباً هو ، شرح مقصورة ابن دريد ، ولم يطبع حتى اليوم ، يقع هذا الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة ولعله لا يزيد في الطبع على ثلاثمائة صفحة ، وفيه فوائد كثيرة لغوية وأدبية ولا يخلو من فوائد تاريخية ، كقصة الزباء وغيرها ، وأرجو ان يطبعه مجمعنا الحبيب ، فان لم يفعل استأذنت أبناءه بالاقدام على طبعه ، حتى ينتفع به الناس ويقف شاهداً على فضله ، أما الشهود الآخرون ، فهم طلابه ، لأن الفقيد كان معلماً قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، مثله في ذلك كمثل سقراط في الروم ، لم يخلف كتاباً ، ولكنه خلف طلاباً .

سادتي ، قرأت في بعض كتب الأخلاق ان رجلاً دخل روضة جميلة ، تمهدت طرقها ، وتناسقت أشجارها ، وتألقت أزهارها ، فوجد على كل شجرة لوحة كتب عليها اسم الذي غرسها او اهداها ، تنطق بفضله وتدعو الى التشبه به ، ولكن الذين علقوا هذه اللوحات نسوا شيئاً واحداً ، نسوا ان هذه الروضة كانت مستنقعاً موبوءاً ، تحيط به التلال والأخاديد ، ويغمره الشوك والحشيش والفطر ، وان الذي أعدها للحياة ، واستحق ان يذكر اسمه مع كل الأسماء ، هو شيخنا عبد القادر المبارك ، فان كان لم يغرس شجرة ، فقد مهد الأرض التي غرست فيها الأشجار ، وغذاها ورواها ، رحمه الله .

* * *

سيدي العميد جبري ،

كانت خطب المجامع في فرنسا خطباً متزمتة ، متكلفة ، ليس فيها معنى بكر ولا فكر حر ، وانما هي قطع بيانية وبديعية ، حتى قيل في وصف كل خطاب ضخم الألفاظ ، هزيل المعاني انه خطاب مجمعي (اكاديميك) ، بل ذهب « ده موسه » الى أبعد من ذلك ، فشبه عراء حسن ، في قصيدته « نمونه » بعراء الخطب

المجمعية . فأين هذا من خطبنا ؟ ان كلامك يا سيدي العميد لو قيل في عصر دي موسه ، لشبه به كل شيء جميل وكل معنى لطيف . لقد قلبت تقاليد المجامع رأساً على عقب ، وجعلت استقبال المجمع شبيهاً باستقبال مدرسة سان سير ، فان كان المثل يقول : رب رجل يقاد الى الجنة بالسلاسل ، فانك قادر على ان تقود الرجل الى الجنة بل الى النار ، على نغمات مزمارك الملهم وهو راض وقرير عين .

سيدي العميد ،

لا أجيز لنفسي ان انبه على عبقريتك وان ارد ثناءك بمثله ، فالثناء في المجمع يوهب ولا يباع ، وقد أوكل اليك التعريف بي ، وأوكل إليّ التعريف بالأستاذ المبارك ، وما ينبغي لأحدنا ان يخرج من الدائرة التي رسمت له ، ولكني أستأذنك في توضيح بعض ما خفي من امري ، وليس في العالم شيء يلتبس عليك ... ولكنك أردت ان تدفع عني شيئاً مما توهمه بعض الناس ! بدأت بتغيير الرأي ، فأغدقت عليه من الثناء ما حببه الي وجعلني اتعلق به . بالغ (روسو) في وصف الطبيعة الوحشية والتغني بمفاتنها ، حتى قال له (فولتير) مداعباً : لقد عدت أنشهي المشي على أربع !

وانا ايضاً عدت أنشهي تغيير الرأي كل يوم . ومن أين ؟ وانا اكثر تمسكاً برأيي مما يظن ، وما ينسب الي من تغير وتحول ، ليس أكثر من وهم ! ان الذين عملت معهم هم الذين غيروا آراءهم او تغيروا ، واما انا فبقيت ثابتاً ، وما بدلت تبديلاً . يقول بعض الكتاب الغربيين ان الناس في المكسيك لا يسألون عن الرجل من أي حزب هو ؟ ولكنهم يسألون : من أتباع أي رجل هو ؟ وهكذا الناس عندنا ، متى عملت مع رجل عدوك من أتباعه فاذا خالفته أو عملت مع آخر ، ارتكبت في نظرهم جناية ، وكنت كمن يهجر جنسيته ويتخذ

لنفسه جنسية وطن آخر ، هذا هو الوهم ، فان العمل مع رجل لا يعني الخضوع اليه او الفناء فيه ومتابعته على الخير والشر ، واني لأنزه نفسي عن مثل هذه العبوديات . ان التغير الذي ينسب الي نوع من خداع البصر ، يشبه قول الراكب في قطار ينهب الأرض ان الطريق تمشي ؛ وانا فوق هذا وفي لاخواني فان تنكروا لي لم أتنكر لهم ، ولم أفارقهم الا في مرحلة اليأس واست أقول مع ابن الرومي :

حبي شديد وكذاك وجدي
للخير والشر بقاء عندي
كالأرض مهما استودعت تؤدي

فانا اؤدي الخير ، ولا أرد الشر بمثله الا قليلاً ؛ ومتى ارتضيت لنفسي حزباً له أهداف ومناهج واضحة ، عرف الناس مبلغ تمسكي بالحزبية الصحيحة .
لقد اعتذر لي العميد عن ذنب لم أرتكبه ، جزاه الله خيراً كثيراً .

ويذكر العميد ان لي ورقة أتلهى بالكتابة عليها كلما تكلم انسان امامي ! .. ان هذه الورقة لا تدل على الانصراف عن المتحدث والسباحة في بحر الأخيلة ، انما هي عادة قديمة ، قد تكون موروثة وقد تكون مكتسبة ، ولكنها على كل حال تعين على تركيز الانتباه ، وأنا ، بعد ، وان كنت أنجو بقلبي وعقلي من بعض المجالس ، فاني لا افر الا من مجالس الجهلة والثرثارين ولو ملكت اكثر من عقل واكثر من قلب لأحضرتها مجالس العميد جبري ، فليس شيء عندي أجدر بان يحرص عليه ويسار اليه .

أما تشبيهي بالصندوق المطلي بالذهب ، لا يعرف ما في داخله ، واكتفاء العميد بظاهري حتى لا يتعب نفسه ، فليس بالكلام الموجه ، الذي يحتمل المدح والذم ، ولكنه أسلوب خاص في النظر الى الحياة .

كلا يا سيدي العميد ، انا لست لغزاً ، وانما انا رجل كسائر الناس ، وقد أكون أقرب الى الصراحة من كثيرين عرفوا بالصراحة . وليس أدب الحديث مما يؤخذ على دمشق ، «فالتدمشق» عنوان الرقة والمجاملة ، ونحن من دمشق ، شئنا أم أبينا ، وليس تكريمك الضيف ليعني أنك ملزم بان تثني على سياسته في مجلس النواب مثلاً ، فحق الوطن عليك فوق حق الضيافة ، ورقة الانسان في مجالسه ، لا تستوجب منه الرقة في عمله الحكومي ، حتى يقال انه «منسجم» السيرة متسقها ، ولو ان احدنا كان مطالباً بان يدير وجهه عن كل رجل لا يحبه او لا يرضيه بعض خلقه او بعض عمله ، لرأيت الناس يمشون في الشوارع ورؤوسهم الى الأرض حتى لا يروا أحداً ، ولو تكاشف الناس بكل ما في قلوبهم لما استطاعوا ان يعيشوا .

وبعد ، فلعل سيدي العميد يصنع بي صنيع الأمراء ، يجرحني ليعطيني مكافأة على الجرح سهماً من ذهب ، أو لعلها مداعبة اليعسوب للنحلة . . . يضيع فيها السم القليل في العسل الكثير ، وكأن هذا السم القليل عنصر من عناصر الجودة في العسل ، أو بمنزلة الدواء المقوي او المشهي .

بقيت نقطة أخيرة ، هي انكار العميد علي دعوتي الى أدب جديد وغمزي من قناة الشعراء القدامى ، فليعلم ، سيدي العميد ، أعز الله به الأدب والشعر ، ان الشعراء الأقدمين مفخرة من مفاخرنا القومية ، وقد أدوا رسالتهم كأحسن ما تؤدى الرسالات ، وأنا لا أدعو الى تسفيههم أو تجاهلهم ، ولكني أدعو الى اكمال رسالتهم .

ان الحضارة الحية عمل مستمر ، مبدع ، وليست متحفاً تصف فيه التماثيل صفاً لتعبد . لما أخذ العجوز (روكفيار) ولده الفتى الى مقبرة الآباء ، قال له : يا ولدي عما قريب أموت وترثني ، فانظر ! ها هنا صورة الذي يبقى ، ان تمجيد

الموتى ، سر خلودنا ، ما هي حياة الرجل ؟ ما هي حياتي ؟ ان كان الماضي والآتي لا يرسمان لها معناها ووجهتها » .

لقد ذكره بحق الموتى ، ولكنه لم يعفه من حق الحياة ، ذلك ان الحياة برزخ بين الماضي والمستقبل ، فمن أراد الحياة ماضياً فقط ، فانما يريد الجمود ، ومن أراد الحياة مستقبلاً فقط ، فانما يريد الجنون . ان الكعبة لم تزل من الوجود ، يوم حطم الرسول الأعظم أصنامها ، فقد أودع فيها روحاً أقوى من كل تلك الأصنام التي كانت تسكنها ، وأنا لا ادعو الى تحطيم الكعبة ، كعبة الشعر ، ولكني أدعو دعوة الاسلام : نخاطب الله بقلوبنا وعقولنا ، لا بقلوب الأصنام وعقولها .

ان اجدادنا نقطة انطلاق لنا ، وليسوا نقطة انتهاء ، والزمن لم يقف حيث وقفوا . لقد تركوا لنا لغة جميلة ، غنية ، تسع كل عاطفة و كل فكرة ، فما ينبغي لنا ان نقف منهم موقف ذلك الشاعر الذي أراد معارضة بيت من الشعر ، فأعاده .. كما هو ، ان هذا معناه التحجر والموت . لقد استمد أجدادنا شعرهم من حياتهم ، ويجب علينا أن نستمد شعرنا من حياتنا . هذا ما دعوت اليه ، وانا لا أبشر بعد بالسخافات الشعرية الجديدة ، فان الشعر المتين الرصين هو الذي يكتب له الخلود .

ظهرت في فرنسا في أوائل هذا العصر أربع عشرة مدرسة وهي : (الطبيعية) و (الانسانية) و (الترفية) و (الذروية) و (التركيبية) و (التمامية) و (الاغرائية) و (الاخلاصية) و (الكثيفية) و (الازدواجية او الثنائية) و (التكعيبية) و (الدادائية او الحمارية) و (المستقبلية) و (الاجماعية) ، الى مدارس أخرى فوق الواقعية ، ووراء الخيالية .

كل أولئك مذاهب في الشعر قد نجهل في بلادنا حتى أسماءها ، ولكنها كانت في فرنسا ، مدارس لها قادتها وأتباعها ، ومناهجها ومجلاتها ودواوينها ولها بعد هذا كله نواديها ومقاهيها الخاصة !

أفتعرف أين ولدت هذه المدارس ؟ ولدت في مجالس الحشيش وحانات الخمر ، ذلك ان شعراء هذه المدارس الجديدة يزعمون أن « الواقع » شيء لا يؤبه له ، وان العقل عدو للانسان ، ينبغي له أن يتحرر منه . دخل رجل على جماعة من هؤلاء الشعراء وهم يدخنون السجاير في مقهى ، فقال لهم : لقد أسرفتم يا قوم في الخيال ، فعودوا الى الحقيقة والواقع ، فأجابوه : الواقع ! ما الواقع ؟ انه عقب هذه السيجارة ، وأعقاب السجاير ترمى بها الأرض ، أما الدخان ، أما الخيال ، فهو وحده الذي نكرمه ، وهو وحده الذي يصعد الى السماء .

ما هو العقل ؟ العقل شيء يعقل لسانك وقلبك وجسمك ، شيء يحجر عواطفك ويبلد ذهنك ، العقل هو هذا القالب الفولاذي الذي « يضغط » على الفكرة ويسجنها ويمسخها .

.. ذلك لون من ألوان التفكير ، أو قلة التفكير ، أما أنا ، فمن الذين يؤمنون بالعقل ، ولكن العقل الذي آمنت به هو العقل الذي يجدد ويولد ، لا الذي يسرق ويقلد .

سادتي ،

يقولون ان حياة الأديب تنتهي في المجمع ، أما أنا ، فلم تكن لي من قبل حياة أدبية ، وقد انتخبتم فيّ محب الأدب لا الأديب ، إن حياتي تبدأ اليوم ، إن شاء الله . والسلام عليكم .

منير العجلاني

خطاب آغا خان

في مؤتمر العالم الاسلامي [1]

لاتخاذ العربية لغة رسمية لپاكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس ـ اخواني المسلمين .

باستطاعتي ان أؤكد لكم أنني شاعر بخطورة ما سأقوله الليلة ، عالم تماماً ان هذا الكلام سيثير حولي سخط جماعات من سكان البلاد لها مكانتها وقيمتها . غير انني اكون عاقاً للاسلام اذا أضعت هذه الفرصة الثمينة من غير أن ادلي بآرائي امام اهل هذه الدولة الاسلامية القوية الواسعة الأطراف ، هذه الآراء التي يحفزني واجبي الى أن أذيعها على المسلمين ، مقرونة بما يستوعبه مثل هذا الخطاب القصير من أدلة وقرائن .

اني أخشى ان يسيء بعض هذه الحجج اساءة شديدة الى أولئك الذين كانوا ـ في أحوال تختلف تماماً من الأحوال الحاضرة ـ قد وقفوا كثيراً من سني حياتهم يعاضدون القضية التي أعتقد أن اهميتها اليوم قد تضاءلت أمام الأحداث العظيمة التي غطت عليها مما لم يحلم به أحد في تلك الأيام السالفة .

وانا أشعر ان التبعة عليّ في ذلك هي أعظم مما اعتقد انني أستطيع الادلاء فيه بحججي امام اهل الباكستان المسلمين بمجموعهم ـ كل مقاطعة بمفردها ، وكل المقاطعات بمجموعها ـ بينما أرى اننا لم نخط بعد ـ لحسن الحظ ـ خطوة يمكن أن تكون قاضية على دستور هذه الدولة الفتية .

---

(١) المنعقد في كراتشي في التاسع من شباط ١٩٥١ .

ان لغة أمة من الأمم ليست وسيلة للتعبير عن صوتها فحسب بل هي طريقة التفاهم بين جميع الهيئات الانسانية الأخرى . وها انا ذا، الرجل العجوز، أتضرع الى اخواني في الاسلام هنا، قبل أن يسبق السيف العذل، ان لا يقرروا الاردية نهائيا كلغة الباكستان الوطنية . بل أن يختاروا اللغة العربية، راجياً ان يصغوا الى حججي في ذلك .

ان أول حججي ضد اتخاذ اللغة الاردية لغة وطنية هو : لو ان القسم الثاني الذي كان يؤلف مع الباكستان امبراطورية الهند البريطانية قد اتخذ الاردية لغته الوطنية، لكان في ذلك للباكستان عذرها في أن تحذو حذوه، إذ تكون الاردية رابطة لغوية ونقطة اتصال عظيمة مع هذه الجمهورية الواسعة في الجنوب .

يشهد الله انني آخر من يريد أن يهدم اي جسر للاتصال والتفاهم بين الباكستان وجارتها الكبيرة . غير ان الواقع هناك، ايها الأصدقاء، هو ان اللغة الهندوكية قد حلت محل اللغة الاردية ومحل اللغة الهندستانية ايضاً، كلغة وطنية .

واقد كان سكان الهند على حق في اختيار أية لغة شاءوا لجعلها اللغة القومية ما دامت الأكثرية تعتقد أن تلك اللغة موافقة لها وذات صلة بتاريخها القديم . أما اختياركم انتم في الباكستان اللغة الاردية فليس من شأنه أن يحسن ولا أن يوثق صلاتكم مع جارتكم الجنوبية، كما انه لن يساعد الأقليات المسلمة هناك مساعدة كبرى . ومها أضفنا من كلمات عربية او فارسية جديدة الى اللغة الاردية فليس باستطاعتنا ان ننكر أن النحو والتركيب وأسس هذه، هندوكية لا عربية .

هل كانت الاردية لغة مسلمي الهند في ابان مجدهم ؟ كلا فهي لم تعتبر لغة

الحكام أثناء حكم الباتان الطويل . وفي زمن المملكة المغولية المجيد لم تعتبر لغة المثقفين ، فهل بامكان أحد من الناس أن يبرز رسالة كتبها احد الأباطرة مثل اورنجزيب أو شاه جهان أو جها نجير أو أكبر أو همايون أو بابار باللغة الاردية ؟

اني أتحدى ! إن لغة البلاط كانت الفارسية وأحياناً التركية .

لقد قرأت الكثير مما كتبه اورنجزيب وكل ذلك باللغة الفارسية الجميلة . ومثل هذا يصدق أيضاً اذا زرنا تاج محل وقرأنا ما نقش على مدفن الامبراطور ومدفن حليلته المشهورة .

وكذلك كانت الفارسية لغة البلاط ولغة الطبقات المثقفة الى أوائل القرن التاسع عشر . حتى في البنغال البعيد فان المثقفين من الهندوكيين اتخذوا الفارسية لغة الأدب والمخاطبة لا الاردية . وحتى أيام «ماكولي» ظلت الفارسية لغة الطبقات الارستقراطية في البنغال بصرف النظر عن اختلاف مذاهب البنغاليين . كما كانت أيضاً لغة الوثائق الرسمية ومجالس القضاء .

لنقف من الحقائق التاريخية وجهاً لوجه . ان الاردية أصبحت لغة الهند الاسلامية بعد ذهاب دولتها ، وهي لغة مرتبطة بعهد الانحلال . ان شعراءها العظام هم شعراء هذا العهد ثم ان ساسة هؤلاء العظام كان محمد اقبال الذي أوحى اليه حب احياء المجد الأدبي أن يهجر الاردية كلغة للشعر الى الفارسية .

حضرت استقبالاً أقيم على شرف اقبال نظمه رجال مثل البروفسور نيكلسون ، وقد قال فيه اقبال نفسه انه اتخذ الفارسية لغة لشعره لأن الشعر الفارسي مرتبط بعظمة الحكم الاسلامي لا بحقبة انحلاله .

وبعد ، أفمن الصواب أن تصبح لغة عهد الانحطاط لغة وطنية لما نتمنى أن يكون أعظم ما نصبو اليه من اليقظة القومية . ان كبار أساتذة الاردية

عاشوا في حقبة الجمود والفشل . وفي ذلك الزمن كانوا على حق في استعمال لغة أصلها هندوكي أضافوا اليها عدداً من الكلمات العربية والفارسية ليجدوا سبيلاً للتفاهم بينهم وبين السواد الأعظم من مواطنيهم يومذاك . أما اليوم وقد انقسمت الامبراطورية الهندية قسمين قام فيهما أمتان عظيمتان فان العالم بأجمعه يأمل من كلا الطرفين أن يطمئن نهائياً الى هذا الوضع . أنا أسألكم ، هل الاردية هي اللغة الوطنية الطبيعية لسكان الباكستان الحاليين .. ؟ هل هي لغة البنغال حيث تعيش أكثرية الباكستانيين المسلمين .. ؟ هل هي اللغة التي تسمعونها في شوارع داكا وشيتاغونغ .. ؟ أهي لغة الحدود الشمالية الغربية أم هل هي لغة أهالي السند أم لغة أهالي البنجاب .. ؟

لا ريب في ان المسلمين والهندوكيين قد رأوا من الصواب بعد سقوط الامبراطورية المغولية أن يتخذوا في بعض المقاطعات لغة تجمع ألسنتهم ، ولكننا نحن اليوم في حاجة الى أشكال أخرى من الوسائل للوصول الى تفاهم متبادل .

من ذا الذي خلق الاردية .. ؟ وأين كانت منابعها .. ؟ وعن أي طريق أتت .. ؟

أما الذين خلقوها فهم حواشي المعسكرات ، وأما منابعها فكانت في صفوف المرتزقة الذين تجمهروا حول البلاط الامبراطوري . أولئك هم الذين تبنوا تلك اللغة . وجعلوا - وهم يتسكعون في طريقهم المملة - يحشرون الكلمات العربية والفارسية كلما احتاجوا اليها في نظام النحو من لغتهم الهندوكية كما فعل أحفادهم في الأيام الأخيرة حينما جعلوا يضيفون الكلمات الانكليزية من أمثال « جلاس » و « كب » ، تلك التي أصبحت جزءاً من اللهجة الاردية الحديثة التي تدعى بالهندستانية .

أتريدون أنتم الآن أن تجعلوا لغة المعسكرات أم لغة البلاط اللغة الوطنية لهذه الدولة الجديدة ..؟

كل طفل مسلم، أهله على شيء من اليسار ، يتعلم القرآن الكريم باللغة العربية سواء أكان من داكا في الشرق أم من كويته في الشمال . ثم هو يتعلم الأبجدية العربية ليتعلم القرآن . ان اللغة العربية هي لغة الاسلام . لقد نزل القرآن عربياً ، وجاءت أحاديث النبي عربية . وكذلك كانت ذروة الثقافة الاسلامية في الأندلس عربية . فعلى أولادكم كلهم أن يتعلموا شيئاً من العربية في كل حين . ثم ان هذا ينطبق على الباكستان الغربية في السند وفي بلوخستان وفي الشمال .

واذا تأملنا الأمر من ناحيته العملية والعالمية وجدنا ان اتخاذنا اللغة العربية لغة قومية لا تتيح لنا فقط اتصالاً وشيكاً باربعين مليونا من العرب الذين يسكنون الى غربنا في دول مستقلة ، بل هو يوثق صلاتنا بستين مليوناً آخرين يتكلمون العربية الى حد ما ويعيشون في بلاد غير مستقلة في افريقية على الأخص . والى سواحل افريقية على المحيط الأطلسي نجد طبقات الشعب العليا تعرف العربية .

هذه المعرفة غير مقتصرة على الشمال بل هي تمتد جنوباً الى نيجيريا وشاطئ الذهب ، وفي جميع الأصقاع السودانية سواء منها تلك التي على ضفاف النيل أو التي تئن تحت الحكم الفرنسي ، نجد اللغة العربية لغة البلاد المنتشرة حتى تخوم الجزء البرتغالي من غربي افريقيا . وكذلك نجد اللغة العربية معروفة في شرقي افريقيا لا في زنجبار وحدها بل بين المسلمين من سكان البلاد المترامية ما بين مدغشقر وبين شرقي أفريقيا البرتغالية .

أما اذا توجهنا الى الشرق لنتعرف الى مقام اللغة العربية فيه وجدنا ان الاسلام قد انتشر وازدهر بين ثمانين مليوناً من أهل اندونيسيا والملايو -

ثمانين مليوناً من المسلمين منتشرين حتى جزائر الفيليبين . وفي سيلان نفسها يحرص أرباب الأسر الغنية على تعليم أبنائهم شيئاً من العربية . أو ليس اذن من الفائدة لدولة الباكستان القوية ذات المركز الجغرافي الوسط الذي تصل به بين مائة مليون من المسلمين الى شرقها وبين مائة مليون آخرين الى غربها أي من الفيليبين والدوله العظيمة أندونيسيا فالملايو فبورما ثم غرباً الى افريقيا حيث يعيش مائة مليون سوى من عددنا منتشرين الى ضفاف الأطلسي . أو ليس من الصواب للباكستان أن تجعل اللغة العربية لغة قومية لها بدلاً من أن تعزل نفسها عن جيرانها العديدين وعن سائر العالم الاسلامي باتخاذها لغة أبرز خصائصها أنها تتصل بعهد انحطاط الدولة الاسلامية . وأخيراً ان العربية لغة عالمية للمسلمين تستطيع أن توحدهم بينما الاردية تفصل بينهم وتعزل بعضهم عن بعض .

سادتي الكرام ، اخوتي في الاسلام ، يا شعب الباكستان ، يا أيها الشعوب المتفرقون في مقاطعاتهم ، إنني أرغب اليكم قبل أن تتخذوا قراراً نهائياً ، وقبل أن تقفزوا ـ وهذا ما أنا مضطر الى ان أقوله لسوء الحظ ـ من على شفير الهاوية ، إنني أرغب اليكم بل أرجوكم أن تدعوا البحث ينضج في ذلك وأن تتيحوا للجميع أن يدلوا بآرائهم . دعوا العجلة جانباً ورددوا الأمر في ما أنتم قادمون عليه .

وأعود ثانية حتى أرغب الى أولئك الذين أعلم أنني قد أسأت اليهم ، أن يلجأوا حباً بالاسلام ، في جميع مناقشاتهم التي ستتلو بلا ريب في هذا الشأن وفي غيره الى أن يعتبروا الحقائق من ناحيتها التاريخية ومن ناحيتها الواقعية في عالمنا الحاضر اليوم .

انى أبتهل الى الله أن يستضيء شعب هذه الدولة بنور الحكمة الإلهية قبل أن يبتوا في هذا الأمر الخطير .

كلمة في التضمين

التضمين إشراب فعل وما في معنى الفعل معنى فعل آخر . بحيث يعمل عمله . ويتعدى تعديته : كفعل « عَزَمَ » في قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » ضمن معنى (لا تنووا) ومثله فعل « أنِفَ » فانه يتعدى بحرف الجر ، فيقال : أنِفْتُ من كذا . فاذا ضمّناه معنى فعل « كَرِهَ » ، صحّ لنا تعديته بنفسه ، ويقال اذ ذاك : (أنِفْتُهُ) أي كرهته .

وهل التضمين قياسي ؟ نعم . كما يفهم من النصوص التي في كتب اللغة والأدب ، ونصوص طائفة من كبار أئمة اللغة العربية .

كما أن ابن جني في الخصائص قال ما نصه :

« وجدت في اللغة من فن التضمين شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً ، فاذا مر بك شيء منه فتقبّله وأنس به فانه فصل من العربية لطيف » .

فأنت ترى أن ابن جني لم يصرح بقياسيته ، لكنه أوشك أن يصرح . ولعله لم يجرؤ على التصريح بالقياسية لصعوبة أمر التضمين ، ووعورة طريق استعماله : بدليل وصفه له بأنه فصل لطيف .

وما قلناه في التضمين يقال في إنابة حرف جر عن حرف جر آخر من حيث أن أكثر أئمة اللغة العربية يقولون انه قياسي : لكثرة ما ورد من ذلك في القرآن والحديث وكلام الفصحاء . ومنه قوله تعالى « عيناً يشرب بها عباد الله » أي منها .

لكننا مهما قلنا بقياسية « التضمين » و « إنابة حرف عن حرف » فان مرجعها او عُمدتها توفّر سلامة الذوق الفني اللغوي . ولذا كان من المتعسّر ادخال « التضمين » و « نيابة حرف عن حرف » تحت قاعدة يحتذيها المرء .

فليكتف مجمعنا باعلان أن « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف جرّ آخر » قياسيان بتحفّظ كالتحفظ الذي قاله علماء العقائد في تعلم علم المنطق ، من أنه يجوز لمن كان :

(ممارس السنة والكتاب ليهتدى به الى الصواب)

وكذا نقول هنا : ان « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف آخر » ، قياسيان وجائزان لمن مارس البلاغة والكتابة عملاً لا نظراً ، وفعلاً لا وهماً : فهو الذي يفقه أسرار المناسبات والقرائن والمقتضيات حسبما تقرر في علوم البلاغة . وهو الذي يعرف كيف يستفيد من قياسية (التضمين) و (نيابة حرف عن حرف) . وان لم يمارس بلاغة الكلام ربما حمله وهمه على ان يقول : (نزات السطح) و (جلست الأرض) و (ضربت السبع) .

المغربي

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

تصويبات

وقعت في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا المجلد السادس والعشرين غلطات يجب اصلاحها على الشكل الآتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	١٦	خلية المَلْحَمَة	خلية الشَّحْمَة
٣٠	١٧	تتألف المَلْحَمَه	تتألف الشَّحْمَة
١٧٢	٧ و ٩	مُشْتَرَك ومشترَكات	مشترك ومشتركات
١٧٤	١	الشَّحْمَة الفَجَوية	الشَّحْمَة الفَجْوية

مصطفى الشهابي

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

استدراك

يضاف الى فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين في أول باب (آراء وأنباء) ما يلي :

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — غوطـة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف • جبريالي • قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

١٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

١٥ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٦ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

١٧ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني •

١٨ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
١٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين
٢٠ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
٢١ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٢ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العش
٢٤ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٢٥ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٢٦ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٢٤–٢٦) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٢٧ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٢٨ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٢٩ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق